نيل مصر وأهرامها

تأليف

الإمام العالم العلاّمة الرحلة الفهامة شهاب الملة والدين

أحمد بن العماد الشافعي الأقفهسي

المتوفى (٨٠٨هـ = ١٤٠٤م)

ألفه سنة (٧٨٠ هـ)

دراسة وتحقيق وتعليق

دكتور

السيد محمد سيد عبد الوهاب

الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة الإسلامية

ومدير مركز المخطوطات والبرديات العربية

بكلية دار العلوم - جامعة المنيا

أحمد جمعه عبد الحميد

دراسات عليا في المخطوطات

جامعة الدول العربية



" وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"

(فاطر:١٢)

مُقدمة

الحمد لله الذي حفظ برسوم الخطوط ما تكل الأذهان السليمة عن حفظه، وتبلغ بوسائطها على البعد ما يعسر على المتحمل تأديته بصورة لفظه ومعناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة يوقع لصاحبها بالنجاة من النار، ويكتب قائلها في ديوان الأبرار، وأن محمداً عبده ورسوله، الذي اهتزت لهيبته الأسرة، وشرفت بذكره المنابر، وضاقت عن درك وصفه الطروس، ونفدت دون إحصاء فضله المحابر.

أما بعد

لقد أثَّر النيل فى حضارة مصر الإسلامية تأثيراً واضحاً؛ وذلك من خلال الزراعة والعمران والتجارة، وكان أثره واضحاً وظاهراً أكثر بما نُصَّ عليه وعلى فضله من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المُطهرة.

ولقد انتبه كثير من الجُغرافيين والمؤرخين المسلمون إلى أهمية الأمر؛ فلقد عُثر على كثير من النصوص المخطوطة - أمثال هذا النص - تتحدث عن النيل وأوقات فيضانه وطرق قياسه والمقاييس التى نشأت من أجل معرفة الزيادة والنقصان.

وكان الخراج فى مصر مُرتبط ارتباطاً كاملاً بتدفُق مياه النيل ونقصانه.

وكانت مظاهر الحُب لهذا النهر واضحة وجليَّة فى الاحتفالات التى كانت تُعقد داخل جامع عمرو بن العاص الذى كان يُطلُّ على النيل وقت إنشائه.

وكان لمياه النيل دوراً حيوياً فى الشعائر الدينية الإسلامية؛ حيث أنه لازم الوضوء الذى يُعدُ أمراً ضرورياً قبل الصلاة.

ولقد شيَّد المعماريون المسلمون المياضى داخل المساجد والمدارس؛ حتى يتمكن الناس من الوضوء قبل الصلاة، كما نجد فى مسجد ابن طولون ومدرسة السلطان حسن. وكما نجد السبيل من المنشآت الخيرية حيث يزود المارة بالمياه اللازمة للشرب.

وكانت عملية نقل المياه من النيل أمراً هاماً بالنسبة للمسلمين؛ حيث أستخدم الجزء العُلوى من أسوار قلعة صلاح الدين – التى بُنيت لتحيط بالقاهرة – كقناة لحمل المياه من النيل إلى القلعة.

ولقد أثر النيل على التطور العُمرانى للقاهرة، كما يتضح من تطور العواصم. الفسطاط، العسكر، القطائع، والتى انحصر امتدادها فى الاتجاه الجنوبى الشمالى حيث منعها النيل من الامتداد غرباً.

وقام النيل بدُور هام فى حياة مصر التجارية، فقد كانت السفن تأتى من بلاد الشرق مثل الصين وإيران مُحمّلة بالبضائع مثل الخزف عن طريق البحر الأحمر من خلال القلزم حيث تصل إلى الفسطاط عبر النيل، كما كانت السفن تأتى من أوربا وحوض البحر المتوسط شمالاً أيضاً.

ولم يلعب – النيل – هذا الدور الحيوى الهام فى مصر الإسلامية فقط، بل فى الحضارات والدول السابقة لدولة الإسلام؛ فقد كان البطالمة يهتمون بشئون الإدارة الداخلية لمصر، وجمع الضرائب. ولما كان الفيضان السنوى للنيل له تأثير على أنواع المحاصيل الزراعية فى مصر فكانت الضرائب تُقدَّر على أساس مستوى مياه الفيضان.

كان هذا النظام يُعرف فى العصر الإسلامى وما قبله بنظام "المقاييس" الموضوعة على النيل، وإن كانت أشكال هذه المقاييس اختلفت من حضارة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر إلا أنَّ الهدف منها واحد، فقد اهتم البطالمة بتشييد المعابد على ضفاف النيل وزودوها بمقاييس. فمثلاً، كان مقياس النيل الخاص بجزيرة فِيَلَة من سُلَّم نُقِشت على جدرانه الداخلية قياسات الفيضان بالأذرع، كما نُقش أيضاً توقيت وزمن الفيضان.

وفى العصر الرومانى فقد أولى الحكام الرومان بعض العناية إلى المبانى المُتعلقة بالنيل التى شُيدت فى عصور سابقة، وذلك للحصول على التقييم الحقيقى، فى حين أنهم لم يقوموا ببناء أى مبان جديدة.

وفى العصر الإسلامى كما يقول ابن العماد أنه لمَّا وُلِّيَ عبد العزيز ابن مروان اتخذ مقياساً بحلوان، ثم اتخذ أسامة بن زيد التنوخى مقياساً بالجزيرة فى أيام سليمان بن عبد الملك، وهو المقياس الذى عليه العمل إلى وقتنا.

وعن قداسة هذا النهر وربوبيته التى كانت قبل الإسلام – فى مصر القديمة على التحديد – فقد عبد المصريون القدماء عدداً من الأرباب والربات التى ارتبطت بنهر النيل، وكان الرئيس بينها هو "حابى" أو "حابى أبو الأرباب" وكان يُصوَّر فى هيئة رجل ذى ثديين وبطن ممتلئة، ويطلى باللون الأسود أو الأزرق، ويرمز إلى الخصب الذى منحه النيل لمصر. وكان رب النيل يصور أحياناً حاملاً على رأسه زهرة اللوتس ونبات البردى.

ومن أرباب النيل أيضاً "سوبيك" الرب التمساح والذى كان يُعبد فى إسنا وكوم أمبو والفيوم، وكان رب الفيضان والخلق هو الرب "خنوم" برأس الكبش، وكان يُعبد فى أسوان.

وظلت قداسة النيل عند المصريون إلى أن جاء الإسلام، فوجد البدعة المشهورة، وهى:- أن يُلقوا إلى النيل من كل عام عروس من أجمل فتيات مصر؛ رغبة فى زيادة مياه الفيضان على حد اعتقادهم. فلما رأى عمرو بن العاص ذلك الأمر أرسل إلى الإمام عمر فكان منه ما كان من هذا الأمر.

قال أحمد بن سعد الدين الغمرى فى كتابه "ذخيرة الإعلام":

فى عامه بدعة قبط مصرا	فى النيل زالت عنه كانت حصرا
فى العشر من بونة كل سنة	يزينوا بيضاء بكر حسَنة
بالطيب والتكتيب بعد النقش	تُزفُ جنب النيل وهى تمشى
بالحلى والحُلىُّ والغوانى	لسبعة المرات فى تهانى
ثم يعروها ويدفعوها	ويقيدوها ويكتفوها
وفيه يرموها؛ لكى يزيد	بزعمهم والكفر لا يفيد
ويذبحوا قربان جنب الماء	ألوف يعطوها إلى الفقراء
لمَّا أرادوا يفعلوا كذلك	فقام عمرو منعهم من ذلك
وقال: ذى لا تك فى الإسلام	فلم يزد شئ لربع العام
جاءوا لعمرو قبط مصر ضجُّوا	قالوا: نهجُ، قال: لا تلجُّوا
وأرسل الأمر إلى المولى عمر	رد له جوابه، له شكر
وضمنه مكتوب قال ألقيه	فى النيل للماء خطاباً فيه
من بعد بسم الله من عند عمر	لنيل مصر يستمع لما أمر
إن كنت من عندك تجرى بئس ما	أو تجرى بأمر الله فاجر راغما
جاء له الكتاب بالمقدور	أول يوم كان من هاتور
ألقاه فيه زاد تلك الليلة	تسعة عشر أزرع جليلة
وانقطعت من مصر تلك البدعة	وكل عام نيلها فى رفعة

قال الشاعر عن نيل مصر:

يا أَيُّها النيل الَّذي مِــن دُونه	نَهر الفُرات وَكُل بَحر زاخر
لَكَ كُل عام عِندَ مَصر وَأَهلها	أَعيـــاد خلّ بِالخُصوبة زائر
وَبِكَ الصَفا يَزداد عــِندَ تَكدّر	لِلماء وَهوَ خلاف حُكم الظاهر [1]

أما عن أهرام مصر، فما زالت الأهرام إلى يومنا هذا تحوم حولها الأسرار والصمت الرهيب، صمتاً كالذى أصاب من بنوها، ولكن الروايات – حول بناؤها وتشييدها والوقت المستغرق فى بناءها – كثيرة، منها:– ما أورده الصفدى – الحسن بن أبى محمد المتوفى بعد ٧١٦هـ – فى كتابه "نزهة المالك والمملوك فى مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك" يقول: "وكان سبب عمارتها أن شونير — الملك — رأى فى منامه رؤيا أهالته وأزعجته، وهو أنه رأى رؤيا على ثلاثة دُفعات. الأولى: رأى كأن الأرض انقلبت بأهلها، والناس يهوَون منها سفِلاً على رؤسهم، وكأن الكواكب تتساقط، ويصدم بعضها بعض بأصوات هائلة، ثم بعد سنة رأى الثانية: كأنه فى هيكل له يُعرف بدقباوس، وخمسة من الكواكب محصورةً فى عُقدة الذنب، وكأن الجو زهراً هابطاً، والشمس قد انكسفت، ولم يبق منها إلا القليل، وكأن القمر قد انحدر من السماء فى صورة امرأة باكية تشكوا زوالها عن بيتها، ثم بعد شهر رأى الثالثة:– وكأن الكواكب الثابتة فى صورة طيورٍ بيضٍ، وكأنها تختطف العالم الذى بينها، وتلقيهم بين جبلين عظيمين، والجبلين قد انطبقا على العالم الذى بينهما، وكأن الكواكب النيرة كلها مُظلمة، ففسرها أفليمُون الكاهن، والسحرة الذين كانوا فى زمانه، أنها تدل على حادثة الطوفان، وكذلك كان، والله أعلم.

وفسر الرؤيا أيضاً أفليمون رئيس سحرة زمانه، أنها تدل على حادثة تقع من السماء، وتطلع من الأرض، وهو عنصر الماء يُفسد كل ما على وجه الأرض، إلا قليل من الناس. فشرع فى عمارة الأهرام، لتكون مثوى

---

١ الشاعر: صالح مجدى .

لأجسامهم وذخائرهم حتى لا يُفسدها وتفسد آبارهم الطوفان. هذا فضلاً عن كثير من الروايات.

ويطلق المؤرخون على عصر الدولة القديمة اسم بُناة الأهرام؛ إشارة إلى تلك الأهرامات الضخمة التى نراها جميعاً والتى بنيت فى بطن الصحراء عن يمين الوادى من إقليم الفيوم جنوباً إلى الجيزة شمالاً.
وقال آخر فى الأهرام :

إذا تَفاخَرَتِ الآثارُ فَاحتَبَت ال ... أهرامُ لِلفَخرِ وَالإيوانُ طاليها
فَهَل يَعُدّانِ مُلكاً مِثلَ مالِكِها ... أَو يَفخَرانِ بِبانٍ مِثلِ بانيها.

الله نسأل أن ينفع به

عرض النص

بدأ ابن العماد الأقفهسى فى مصنفه بأن إقليم مصر مشتملاً على فوائد عجيبة وأمور غريبة، فبدأ بذكر أول وأهم هذه العجائب هى نهر النيل، ومن أهم ما تميَّز به هذا النهر بأن يُعدُّ أعجب العجائب فى مصر بأنه نهر له فضيلة على أنهار الدنيا، وذلك لِما ورد فى بيان فضله من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فعرض الآيات والأحاديث الخاصة بذلك فى وضوح تام، مع ذكر أقوال العلماء والمؤرخين فى ذلك.

ثم تحدث عن حيوانات النيل وأسماكه وتماسيحه والترسه وما يعتقده الناس فيها. ثم تحدث عن الأماكن المُقدسة فى مصر، ومن سكنها ووُلد فيها من الأنبياء والحكماء والفلاسفة والعلماء. هذا ما ذكره فى الفصل الأول من الكتاب.

ثم أفرد الفصل الثانى فى شأن المكان الذى يخرج منه أصل النيـل، وفى أى مكان يذهب، وبيان خُضرته وفى المقاييس المجعولة عليه وغير ذلك، ثم تحدث عن أهم وأغرب العجائب فى مصر بعد النيل وأفرد لها فصلاً خاصاً بها وهى الأهرامـات. حـدودها ومـساحتها وأطوالهـا وعروضـها وآراء الجغرافيين والمؤرخين حول هذا الأمر.

ثم تحدث عن عجيبة أخرى من عجائب مصر، وهى حائط العجـوز وسبب بناؤه، وفائدته، وآثاره الموجودة إلى وقت حياة المؤلـف، ثـم تحـدث المؤلف عن زيادة النيل وما آثار هذه الزيادة على أنهار الدنيا، وأين تـذهب هذه الزيادة.

وخالف ابن العماد الجغرافيين السابقين فى شرح قولـه – صـلى الله عليه وسلم – " سيحان وجيحان والفرات والنيل من أنهار الجنة " فقال: اعلـم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، وقال: إن المذكوران فى الحـديث هما من بلاد الأرمن وهما نهر المصيصة ونهر أدنة، ثم تحدث عن الفرق بين البحر والنهر وسبب إطلاق لفظة "بحر" على نهر النيل مع إنه نهـر ولـيس بحر، وختم الأقفهسى حديثه عن مسألة فقهية هامـة، وهـى طهـارة الميـاه وأنواعها وأقسامها، وهل يجوز الوضوء بماء البحر أم لا؟ وبالماء المتجمد أم لا؟ وأقسام الماء النابع من الأرض، وما لا يجوز الوضوء والطهارة به مـن الماء النابع من باطن الأرض مع أن أصوله ومنابعه طاهرة.

التعريف بالمؤلف:

شهاب الدين أحمد بن العماد

شهاب الدين أحمد بن عماد بن محمد بـن يوسـف الأقفهـسي، والأَقفَهسي بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الفاء وسكون الهاء ..نسبة إلـى

كتاب في ذكر النيل وما يتعلق
به تاليف الامام العالم العلامه
الرحلة الفهامه شهاب الملة
والدين احمد بن العماد الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته
واسكنه فسيح جنته
ونفعنا ببركته
بمنه وكرمه
انه على كل
قدير
امين

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده [illegible]
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب
العافية الحميدة واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
الى الامة الشهيدة والى ساير الفرق القريبة والبعيدة
فبلغ الرسالة وادى الامانة ودعا الى الله عبيده ونسال
الله من فضله ان يجعلنا من الامة السعيدة ولا يجعلنا من الفرق
البعيدة [illegible] فقد روي عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اربعة لا تشبع من اربع عين من نظر وانثى من ذكر
وارض من مطر وعالم من خبر ولما كان اقليم مصر [illegible]
فوايد عجيبة وامور غريبة اختصه الله تعالى بها وان
اجمع فيها من نفيس الفوايد ما لا ينبغي لذوي العلم اهماله
ولا يسع لاهل مصر الا معرفتها واقتناؤها كيف واكثر اهل مصر
لو سيل عن نهر النيل من اين يخرج من الارض وفي اي مكان ينصب
ولو سيل عن طوله وعن سبب [illegible] في وقت الزيادة
وعن [illegible] الزيادة وفي اي مكان تذهب زيادته او النقص
لما اجاب [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] وقد ورد فيه ايات واحاديث اما الايات فمنها قوله [illegible]
واما [illegible] [illegible] عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال البغوي في تفسيره هذه الانهار
الاربعة تخرج من نهر الكوثر قال كعب الاحبار اما نهر [illegible]
دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم
ونهر سيحان نهر عسلهم ونقل ابن زولاق في تاريخ مصر عن كعب
الاحبار ان نهر مصر نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء
وجيحان نهر اللبن وفي حديث الاسراء ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فرايت اربعة انهار يخرج من
اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه
الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران
فالفرات والنيل قال النووي في شرح مسلم قال مقاتل الباطنان
هما السلسبيل والكوثر قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث
يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها
[illegible] حيث اراد الله حتى يخرج من الارض ويسير فيها وهذا لا
[illegible] عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه والله اعلم
[illegible] ذكره النووي هو الصواب [illegible] البغوي في [illegible]
ان سدرة المنتهى شجرة طوبى وذكر في سورة الرعد في قوله تعالى
طوبى لهم ان طوبى شجرة اصلها في [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

ان البحريين ذكروا ان هذا الما اذا اخرج في وقت البحر
منه بعضه ثم رفع ما فيها وضعت لحيته وعزها في
في اكامرفا ذا احست بالحرارة صعدت الى السما فتمسها
فهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض
ويشهد له ايضا ان هذا ليس بها الحلو ولا ابرد ولا مطر والله
اعلم قال صاحب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به
لانه ماء ولانه لم يتحقق نجسه من نفس تلك الدابة واما بحر
الملح فيجوز منه الطهارة بلا كراهة لقوله صلى الله عليه وسلم
هو الطهور ماؤه الحل ميتته هذا مذهبنا ونقل البغوي
في سورة التكوير عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو انهما
قالا لا تجوز الطهارة بماء البحر لانه غطاء جهنم ونقل ذلك ايضا
الدارمي في الاستذكار عنهما وعن سعيد بن المسيب لا يجوز
الوضوء بماء البحر قال وعن قوم انهم قدموا التيمم عليه وخيروا
بينهما وعن قوم انه يتوضأ به عند عدم غيره ومما يدل على
ان البحر غطاء جهنم قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا الاية فانها
تدل على التعقيب فاقتضى ذلك ان تكون النار عقيب
الغرق وقوله صلى الله عليه وسلم ان تحت البحر نارا وان تحت
النار بحرا الحديث وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي
الامي وعلى اله وصحبه اجمعين تم الكتاب [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده . وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له شهادة توجب العاقبة الحميدة . وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الأمة السمحة . وإلى سائر
الفرق العربية والعجمية فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ودعا
إلى الله عز وجل . ونسأل الله بفضله أن يجعلنا من الأمة السعيدة
ولا يجعلنا من الفرق الشقية . وبعد فقد روي عن سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة لا تشبع من أربع
عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وعالم من خبر ولما
كان إقليم مصر مشتملاً على فوائد وأمور عجيبة استخرت الله تعالى
في أن أجمع فيه من محاسن الغرائب ما لا ينبغي لذوي العلم إهمالها
ولا لساكن مصر إغفالها وذلك وكلهم أو أكثرهم لو سئل عن نهر
النيل من أين يخرج من الأرض وفي أي مكان يذهب ولو سئل
عن طوله وعن سبب [illegible] خضرته في وقت الزيادة ومن
أين تلك الزيادة [illegible] أي حين يذهب زيادته إذا انتقص لما
[illegible] [illegible] الله تعالى مبيناً لجميع ذلك واصفاً
[illegible] الشروع في ذلك أتعرض لما يدل على فضل
[illegible] من أنهار الدنيا وبيان ذلك في فصلين
[illegible] [illegible] في بيان فضله وقد ورد فيه آيات وأحاديث
[illegible] قوله تعالى وأنهار من خمر لذة للشاربين
[illegible] مصفى وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول

الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل
من الجنة قال البغوي في تفسير هذه الأنهار الأربعة تخرج
من الكوثر قال كعب الأحبار نهر دجلة نهر أهل الجنة ونهر
الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم ويقال
ذلك في تاريخ مصر عن كعب الأحبار أن نهر مصر نهر العسل في
الجنة والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء ونهر جيحان نهر اللبن
وعن [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم انتهيت
إلى سدرة المنتهى فرأيت أربعة أنهار تخرج من أصلها نهران
ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار قال
أما النهران الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل
والفرات قال النووي في شرح مسلم قال مقاتل الباطنان هما
السلسبيل والكوثر كذا ذكره القاضي عياض رحمه الله وهذا
الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النيل
والفرات من أصلها قال وهذا الذي قاله عياض لا يلزم منه أن
يخرج من أصلها ثم [illegible] ما أراد الله تعالى حتى يخرج
من [illegible] [illegible]
[illegible] وهو ظاهر
[illegible] [illegible] المصير إليه والله [illegible] النووي هو
[illegible] فقد ذكر البغوي في سورة النجم أن سدرة المنتهى في
السماء السابعة وذكر في سورة الرعد في قوله تعالى طوبى [illegible]
شجرة أصلها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم و
[illegible] الجنة إلا وفيه غصن منها وقال ابن زولاق في

ان النيل يخرج من [illegible] سدرة المنتهى وانه لو تقصى اثاره لوجد فيه ولـ
جريانه اوراق الجنة قال ولذلك ذهب الى اكل البلطي من السمك
لانه يتبع اوراق الجنة ويرعاها ويشهد لصحة ما ذكره ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالبلطي [illegible] فانه يرعى من
حشيش الجنة [illegible] وذكر بعضهم ان سائر مياه الارض وانهارها
تخرج من تحت الصخرة بالارض المقدسة والعلم عند الله تعالى
قال [illegible] طوبى [illegible] مشتقة من الطيب واصلها
طيبى [illegible] بعد ضمة قلبت واوا قال ابن جني حكى ابو حاتم
سهل بن محمد السجستاني قال [illegible] في القراءات قال قرأ علي
اعرابي [illegible] طيبى لهم وحسن مآب فقلت له طوبى فقال طيبى
فاعدت عليه فقلت طوبى فقال طيبى فاعدت عليه فقلت طوبى
فقال [illegible] طوبا فلما طال علي قلت طوطو
فقال طي طي قال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية
سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها لا يعلم ما فوقها الا الله عز وجل
وعن اسماء بنت ابي بكر [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة
المنتهى قال [illegible] ظل الفنن منها مائة عام ويستظل
في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش من ذهب كان ثمرها
القلال والفنن بمعنى الغصن وفي القرآن العظيم ذواتا افنان
اي اغصان قال مقاتل سدرة المنتهى تحمل الحلي والحلل والثمار
من جميع الالوان لو ان ورقة وضعت منها لاهل الارض لاضاءت
الارض وفي جامع الصحاح عن الليث قال سدرة المنتهى

[illegible] البـ

في السماء السابعة لا يجاوزها ملك وقد اظلت السماء والجنة
ومنها قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج وقوله وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا [illegible] البرزخ [illegible]
[illegible] اذا خلا الشيء [illegible] اختلط تغيره [illegible] البحرين [illegible]
بينهما [illegible] اختلاطا وامتزاجا [illegible] الحلو والفرات
[illegible] العذوبة [illegible] الملح وهو
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] والطرفا [illegible] احمر
[illegible] في البحر [illegible] ما البحرين [illegible]
[illegible] اي لا [illegible]
البرزخ الحاجز [illegible] احدهما الى الاخر
ومنه قوله تعالى ومن ورائهم برزخ اي حاجز يمنعهم من الرجوع الى
الدنيا والحاجز من [illegible] حاجز قدرة الله [illegible] العذب [illegible]
الملح ولا يختلط [illegible] بينهما متميزا عن الاخر
[illegible] طويلة [illegible] في الملح ولا يختلط به
[illegible] ولهذا يظهر [illegible] البحر في بعض النواحي
يستقون منه للشرب وذلك في اماكن معروفة [illegible]
محجورا اي حراما محرما ان يختلطه [illegible] هذا [illegible]
الحجر المنع ومنه سمي العقل حجرا [illegible]
وما لا يليق قال تعالى هل [illegible] لذي حجر اي عقل [illegible]

طعمها الاحماض ويستدل ايضا ان هذا الذي مالح دبارد والبحر واسد
اعلم بالـ ماخذ المنتجات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء ولا يعلم عنه
عنه من مس تلك الدابه واما البحر الملح يجوز منه الطهارة بلا كراهة لقوله
صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته هذا ما قاله البغوي
في [illegible] الماور عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر انهما قالا لا يجوز الطهارة
بماء البحر لانه [illegible] ونقل ذلك ايضا الدارمي في الاستذكار عنهما وعن
سعيد بن المسيب انه لا يجوز الوضوء بماء البحر وعن قوم انهم قدموا التيمم
عليه [illegible] وبما قال الله تعالى دابة [illegible] انه وماء يدل على ان البحر
من ذوات النار [illegible] ويقوله صلى الله عليه وسلم ان تحت
البحر نارا وتحت النار بحرا [illegible]
ن هذا او [illegible]
حفظه الله [illegible] ودام الوداع [illegible] في العز الاول
[illegible]

تم تصحيح الكتاب [illegible]
في يوم [illegible] [illegible] [illegible]

أقفَهس، اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا. المعروف بابن العماد، أحد أئمة الفقهاء الشافعية، وُلد قبل الخمسين وسبعمائة، واشتغل في الفقه والعربية وغير ذلك، وأخذ عن الجمال الأسنوى وغيره. وقرأ عليه من أول المهمــات إلى الجنايات، وكتاب أحكام الخناثي، وقرأ على شمس الــدين ابــن الــصائغ الحنفي شرح البزدوي، وكان يحضر عند الشيخين البلقيني والعراقي ويــتكلم ويفيده ويعظمه الشيخان.

قال الحافظ برهان الدين ابن العجمي في مشيخته: وكــان مــن العُلماء الأخيار المستحضرين، ولديه فوائد في فنون عديدة، دمث الأخــلاق، طاهر اللسان، حسن الصحبة، قال وكتب على المهمات كتابــا حــافلاً؛ فيــه تعقبات نفيسة. وصنَّف عدة تصانيف.

آثاره

صنَّف التصانيف المفيدة نظماً ونثراً ومتناً وشرحاً، منها:- "أحكام المساجد"، "أحكام النكاح"، "حوادث الهجرة"، وكتاب "التبيان فيما يحلُّ ويحــرُمُ من الحيوان" ط، "دفع الإلباس عن وهم الوسواس" ط، "القول التام في أحكــام المأموم والإمام" ط، "التعقيبات على المهمــات" لــشيخه الإســنوى، "شــرح المنهاج"، "منظومة فى العقائد" وأخرى فى المعفوات، "آداب الأكل" ط، "السر المستبان مما أودعه الله من الخواص فى أجزاء الحيوان" ط، "كشف الأسرار عمَّا خفى من الأفكار"، "إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش".[1]

النص ونسبته إلى مؤلفه

[1] انظر فى ترجمته: طبقات الشافعية ج٤ ص١٥، شــذرات الــذهب ج٤ ص٧٣، البــدر الطالع ج١ ص٩٣، إيضاح المكنون ج٣ ص١١٥، الأعلام ج١ ص١٨٤، الضوء اللامــع ج٢ ص١٣٧، معجم المؤلفين ج٢ ص٢٠٦

"نيل مصر وأهرامها"[1]**وهو ما نحن بصدد تحقيقه،** وله أكثر من اسم منها: "نيل مصر وأهرامها" وهو ما تحمله نسخة بلدية الإسكندرية رقم ١٦٥٧ والموجود منها صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم "١٤٨ جغرافيا " وهى نسخة كُتبت فى حياة المؤلف فى رمضان سنة ٧٨٠هـ.

ومنها: ما يحمل عنوان "منبع النيل" موجود منها ورقة واحدة أصلها فى بلدية الإسكندرية تحت رقم ١٦٥٧ب(١) ومحفوظة منها صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات تحت رقم "١٣٣ جغرافيا".

ومنها ما يحمل عنوان "كتاب فى ذكر بحر النيل وما يتعلق به" محفوظ بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم ٣٣٩٢٦٥ جغرافيا.

ومنها ما لم يُحدد له عنوان ثابت كما هو موجود فى دار الكتب بالقاهرة يحمل تصنيف باسم "جزء، فيه حديث نيل مصر وبدء أمره وغير ذلك" حديث رقم ١٣٨٨.

ومنها " كتاب، يُذكر فيه نيل مصر من أين يخرج من الأرض وفى أى مكان يذهب وسبب تكدره وخُضرته فى وقت الزيادة " مخطوطات الزكية عربى رقم ٤٧١.

ومنها: "نيل مصر" جغرافيا حليم رقم ٩ عربى.

النسخ المُعْتَمدَة فى التحقيق

اعتمدنا فى تحقيقنا للنص على مخطوطتين:-

الأولى:{أم} نسخة بلدية الإسكندرية رقم ١٦٥٧والموجود منها نسخة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية تحت رقم ١٤٨جغرافيا، وهى نسخة كتبت فى حياة المؤلف، فى رمضان سنة ٧٨٠هـ.

---

[1] انظر توثيق النص: تاريخ الأدب العربى ج٢ ص١١٤،١١٥، ١١٦ ، . ملحق ٢ ص١١٠، الأعلام ج١ ص١٨٤ ، معجم المؤلفين ج١ ص٢١٤. وانظر فهرس الجغرافيا والبلدان معهد المخطوطات العربية ج٢ ص١٠٠ – ١١٨

الثانية:{مساعدة} نسخة مكتبة الأزهر الشريف، والتى تحمل عنوان "كتاب فى بحر النيل وما يتعلق به، محفوظة بالقاهرة برقم ٣٣٩٢٦٥ جغرافيا.

وصف النسخ:

الأولى:-

أولها: الحمد لله حمداً يوافى نعمه...... وبعد فقد رُوى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال..الخ

آخرها: ونقل ذلك أيضاً الدارامى فى الاستذكار عنها وعن سعيد بن المسيب أنه لا يجوز الوضوء بماء البحر.

نوع الخط: كتبت بخط واضح، نسخ، مُهمل النقط أحياناً.

تاريخ النسخ: فرغ ناسخها فى رمضان سنة ٧٨٠هـ فى حياة المؤلف، وبها نظام التعقيبة وأثر أرضة وبعض طمس.

عدد الأوراق: ١٥ ورقة.

عدد الأسطر: ٢١ سطر.

مقاس الورق:١٩×٢٨.

مكان الأصل: بلدية الإسكندرية رقم ١٦٥٧.

مكان الصورة المُستعان بها: معهد المخطوطات ١٤٨ جغرافيا.

الثانية:-

عنوانها : كتاب فى ذكر بحر النيل وما يتعلق به.

أولها: الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده وبعد ... فقد روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ... الحديث.

آخرها: قوله – صلى الله عليه وسلم – "إن تحت البحر لناراً، وإن تحت النار لبحر.. الحديث، وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، تم الكتاب والحمد لله الحميد الفعال.

مسطرة المخطوط: ٢٠ سطر.

تاريخ النسخ: غرة شهر صفر الخير سنة ١١٠٩هـ.

اسم الناسخ: مصطفى جورجى. قاطن بثغر دمياط.

ملاحظات: على النص وقفية من السيدان الحاج محمد ربيع، والحـــاج حسن ربيع. كلاهما أولاد الحاج على ربيع، وقفية شرعية، وأوصوا فيها بعدم بيعه ولا رهنه ولا يوهب وأنه موقوف على طلبة العلم فقط ، وحملوا الــوزر والإثم على من بدل فى هذا الوقف شيئاً، وعلى النص أيضاً مكتـوب تـاريخ النسخ واسم الناسخ، وما يليه من كتب فى المجموع ككتاب الأربعين حـديث النبوية فى فقر الأمة المحمدية تأليف أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنــه-، ويليه عقيدة المنظومة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بــن ســليمان الــشيبانى - رحمه الله -.

منهج التحقيق:

اعتمدنا فى تحقيقنا للنص على نسختين خطيتين سبق الإشارة إليهم، رمزت إلى النسخة {الأم} نسخة معهد المخطوطات بالرمز{م}، وزمزت إلــى النسخة {المساعدة} نسخة مكتبة الأزهر بالرمز{أ} أقمنا عن طريقهمـا أقمنـا المتن إقامة سليمة قريبة - إن شاء الله - للصورة التى تركها عليــه مؤلفــه، وتتلخص جهود المحقق فيما يأتى:-

١- إقامة النص عن طريق مقابلة النسختين بعد اعتمــاد الأقــدم {أُمــاً} للنص.

٢- التأكد من نسبة النص إلى مؤلفه من خلال كتب الفهارس والتــراجم المُشار إليها فى حاشية "النص ونسبته إلى مؤلفه".

٣- عرض أسماء النص المختلفة بين النسخ، واعتماد اسم أقــدم النــسخ كعنوان للنص.

٤- أماكن وجود النص ونسخه فى مكتبات مصر، مــع ذكــر أرقامهــا وعناوينها.

٥- اختيار أفضل النسخ المعتمدة فى التحقيق، على حسب ما يتوفر فيها من شروط.

٦- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتراجم الأعــلام والشخصيات الواردة فى النص، وكذلك أسماء الأماكن البلــدان وأســماء الكتب الواردة كذلك فى النص.

٧- توثيق النقول الواردة فى النص من مصادرها الأصلية مع الإشارة إلى أرقام الأجزاء والصفحات.

٨- الفهارس اللازمة للنص من فهرس آيات القرآن، وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس أعلام، وفهرس أماكن، فهرس أسماء الكتب الواردة فى النص، وفهرس للمصادر والمراجع، وأخيراً فهرس للموضوعات.

٩- الإشارة إلى أرقام اللوحات والصفحات الخاصة بالمخطوط فى كلا النسختين على جوانب النص.

رموز المقارنة:-

النسخة المتن مرموز إليها بالرمز {م}، المساعدة بالرمز {أ} فالمختلف فى النصين يشار إليه كالآتى:-

١- إذا كان فى {م} الأم أو المتن كلمات إبراهيم بن محمد، وفى {أ} المساعدة إبراهيم بن أحمد. يكون إثبات الاختلاف فى الحاشية: { م، أ إبراهيم بن أحمد} وهكذا إثبات كل اختلاف.

٢- إذا كان فى المتن {م} نقص وضعته من نسخة {أ} فى المتن بين معقوفتين وأشرت إليه بالطريقة {أ ، ـــ م}.

٣- من أجل التسهيل وعدم التعقيد الغير مفهوم لا أدخل أكثر ما سبق من الرموز فى المقارنة ولا أشير إلى الناقص فى النسخة المساعدة لعدم الفائدة من ذكره.

نماذج مُصورة للمخطوط

الصفحة الأولى من المخطوطة (م)

الصفحة الأخيرة من المخطوطة (م)

الصفحة الأولى من المخطوطة (أ)

الصفحة الأخيرة من مخطوطة (أ)



النص المحقق لكتاب

" نيل مصر وأهرامها "

بسم الله الرحمن الرحيم [أ/٢]

[م/١] صلى الله على سيدنا محمد وآله.

الحمد لله حمداً يوافى نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تُوجب العاقبة الحميدة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الأمة الشهيدة، وإلى سائر الفرق القريبة والبعيدة، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى اللهِ عبيدَهُ، ونسأل الله من فضلهِ أن يجعلنا من الأمة السعيدة، ولا يجعلنا من الفرق البعيدة.

وبعد

فقد رُوى عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "**أربعة لا تشبع من أربع: عينٌ من نظر، وأنثى من ذكر[١]، وأرض من مطر، وعالم من خبر[٢]**".

ولَمَّا كان إقليم مصر مُشتملاً على فوائد عجيبة، وأمور غريبة؛ استخرتُ الله - تعالى - فى أن أجمع فيها من نفيس الغرائب ما لا ينبغي لذوى العلم إهمالها، ولا لساكن مصر إغفالها[٣]. وكيف؟ وكُلهم أو أكثرهم لو سُئل عن نهر النيل من أين يخرج من الأرض، وفى أى مكان يذهب، ولو سُئل عن طوله، وعن سبب تَكَدُّرِهِ وخُضرتِهِ فى وقت الزيادة، ومن أين تُمدُّه الزيادة، وفى أي مكان تذهب زيادته إذا نقص؟ لَمَا أجاب عن ذلك، وأنا إن شاء الله - تعالى - مُبيّنُ لجميع ذلك، قاصداً فيه الاختصار.

وقبل الشروع فى ذلك أتعرض لِما يدل على فضيلة هذا النهر على غيره من أنهار الدنيا، وبيان ذلك فى فصلين:-

الأول:- فى بيان فضله، وقد ورد فيه آيات وأحاديث.

أما الآيات، منها قوله تعالى: **{وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}**[٤]

---

[١] أ. (م) وأذن من خبر.

[٢] لم أستدل عليه.

[٣] م. (أ) إلا معرفتها واتقانها .

[٤] سورة محمد من آية ١٥

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "**سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة**[1]"، وقال البغوى[2]فى تفسير هذه الأنهار الأربعة: تخرج من نهر الكوثر[3]. قال: قال كعب الأحبار[4]: أما نهر دجلة نهر[ماء][5]أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنُهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم.

ونقل ابن زولاق[6]، فى تاريخ مصر عن كعب الأحبار، أنَّ نهر مصر نهر العسل فى الجنة، والفرات نهر الخمر، وسيحان نهر الماء، وجيحان نهر اللبن.

---

[1] صحيح مسلم ٢٨٣٩، مسند أحمد ٧٨٧٣،٩٦٧٢، الفردوس بمأثور الخطاب ٣٥٢١ من رواية ابن عمر.

٢ البغويّ الشّافعيّ الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرّاء البغويّ، الفقيه الشافعيّ المحدّث المفسِّر. كان بحراً في العلوم، وأخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد. وصنّف التفسير المشهور. وتوفي بمرو سنة ستة عشر وخمس مائة. دائرة المعارف ج٣٧ص٢٨١٧

[3] تفسير البغوى ج٤ ص١٨١.

٤ هو كعب بن مَاتِع بن ذي هجن، الحِمْيَرِيّ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار، ويقال له أيضا "كعب الحَبْر". تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم رجلا وأسلم في زمن أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب، وتوفي بحمص ذاهبا إلى الغزو عن مائة وأربع سنين سنة ٣٢ هـ ، ٦٥٢ م سير النبلاء ج٣ ص٤٨٩: ٤٩٠. تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٦٨: ٦٩ تهذيب التهذيب ج٨ ص٤٣٨ أسد الغابة ج٤ ص٤٨٧، فتوح الشام ج١ ص١٦٤، الأعلام ج٥ ص٢٢٨ .

٥ أ . م

٦ الحسن ابن زولاق الحسن بن إبراهيم بن زولاق، أبو محمد المصري اللّيثي. من أعيان علماء أهل مصر ووجوهها، وله عدة تصانيف في تواريخ مصر، توفي يوم الأربعاء لخمسٍ بقين من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمائة. البداية والنهاية ج١١ ص٣٢١. الأعلام ج٢ ص١٧٨. معجم المؤلفين ج٣ ص١٩٤. الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧. سير النبلاء ج١٤ ص٤٠٨، دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٣٣٦ ،وَفَيَات الأعيان ج٢

وفى حديث الإسراء أنَّ النبى - صلى الله عليه وسلَّم - قال: **ثم انتهيت إلى سِدرة المنتهى، فرأيت أربعة أنهار يخرجن من أصلها. نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالفرات والنيل**[1].

قال النووى فى شرح مسلم[2]: قال مقاتل: الباطنان، هما السلسبيل والكوثر.

قال القاضى عياض[3] - رحمه الله -: هذا الحديث يدلُ على أنَّ أصل سِدرة المنتهى فى الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها، وهذا الذى قاله غير لازم؛ بل معناه أن الماء يخرج من أصلها ثم تسير حيث أراد الله حتى تخرج من الأرض ويسير فيها، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع، وهو ظاهر الحديث. فوجب المصير إليه والله أعلم[4].

وما ذكره النووى هو الصواب؛ فقد ذَكر البغوى فى سورة النجم: أن سِدرة المنتهى هى شجرة طوبى، وذَكر فى سورة الرعد فى قوله تعالى:

ص٩١: ٩٢. معجم الأدباء ج٢ ص٤٠٩: ٤١٢ معجم البلدان ج١ ص١٢٦،حسن المحاضرة ج١ ص٥٥٣ . مؤرخو مصر الإسلامية ص ٣٤ : ٤٨

١ البخارى ٥٢٨٧، المستدرك على الصحيحين ٢٧١، مسند أبى عوانة ٨١٣٤، سنن الدارقطنى ٢٩، مسند أحمد ١٢٦٩٥، المعجم الصغير ١١٣٩، مسند أبى يعلى٣١٨٥، الفردوس ٣١٩٧ من رواية مالك بن صعصعة.

٢ شيخ الإسلام محيي الدين أبو ذكريا يحيى بن شرف بن مرى بن الحسن بن الحسين النووي الفقيه الشافعي الحافظ الزاهد صاحب المصنفات المشهورة. ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ومات ليلة الأربعاء رابع عشرين شهر رجب بقرية نوى. سنة ٦٧٠هـ. معجم المؤلفين ج١٣ ص٢٠٢، الأعلام ج٨ ص١٤٩، طبقات الشافعية ج٨ ص٣٩٥، طبقات الحفاظ ص٥١٠، تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٤٧٠

٣ عِيَاض بن موسى بن عياض بن عمرون، أبو الفضل، اليَحْصُبِيّ، السبتي المعروف بالقاضي عياض:عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، كان فقيها محدثا. أنظر فى ترجمته : القاموس الإسلامي: ج٥ ص٥٨٠: ٥٨١ . تاريخ الأدب العربي ج٥ ص٢٩١: ٢٩٤

٤ أنظر شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٢٢٤

{طُوبَى لَهُمْ}[1] أنَّ طوبى شجرة أصلها فى بيت النبى - صلى الله عليه وسلم - وإنه ما من [٣/أ] بيت فى الجنة إلا وفيه غُصنُ منها[2].

قال ابن زولاق فى تاريخ مصر: [م/٢] إن النيل يجرى من تحت سدرة المنتهى، وإنه لو تُقُفِيَّ آثاره لوُجِدَ فى أول جريانه أوراق الجنة.

قال: ولذلك نُدِب إلى أكل البُلطى من السمك؛ لأنه يتتبع أوراق الجنة فيرعاها، ويشهد لصحة ما ذكره بما رُوى أنَّ النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: "**عليكم بالخيزوم؛ فإنه يرعى من حشيش الجنة**[3]"

وذكر بعضهم أنَّ سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج من أصلها، من تحت الصخرة بالأرض المُقدسة، والعلم عند الله تعالى.

فائدة:- طوبى وزنها فُعلى، مُشتقة من الطِيب، وأصلها طيبى، وقعت الياء بعد ضمة فقلبت واو.

قال ابن جنى[4]: حكى أبو **حاتم سهل بن محمد السجستانى**[5] فى كتابه "**الكبير فى القراءات**"[6] قال: قرأ علىَّ أعرابى بالحرم: طيبى لهم وحُسنُ مئاب. فقلت له: طوبى، فقال: طيبى؛ فأعدتُ عليه فقلت: طوبى. فقال: طيبى. فقلت: طوبا، فقال: طيبا، فلما أطال علىَّ فقلت: طُوُ طُوُ. فقال: طِيِ طِيِ.

---

١ من الآية ٢٩

٢ أنظر تفسير البغوى ج٤ ص٢٤٨

٣ لم أستدل عليه

٤ عثمان بن جِنِّيَ، أبو الفتح، الموصلي، المعروف بابن جني: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل، وكان أبوه مملوكاً روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي: وقد صنف ابن جني الكثير من التصانيف، منها : "الخصائص" في النحو، ورسالة فيمن نسب إلى أمه من الشعراء". وغير ذلك وتوفي ببغداد في صفر من سنة ٣٩٢ هـ ، ١٠٠٢ م عن نحو خمس وستين عاما. أبجد العلوم ج٣ ص٣٢: ٣٣. الزركلي : الأعلام ج٤ ص٢٠٤.

٥ أبو حاتم السجستاني، اسمه سهل بن محمد، سكن البصرة. روى عن يزيد بن هارون وأبى جابر الأزدي، وهو الذي صنف في القراءات، مستقيم الحديث وإن كان فيه ما لا يتعرى عنه أهل الأدب. الثقات ج٨ ص٢٩٣

٦ أنظر كشف الظنون ج٢ ص١٤٤٩

[وعن ابن عباس - رضى الله عنه - فى قوله تعالى:{طسم}[1] أنَّ الطاء شجرة طوى، وأنَّ السين سدرة المنتهى، وأنَّ الميم محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو يدل على أن شجرة طوى غير سدرة المنتهى والله أعلم][2].

قال سعيد بن جبير[3]: طوبى اسم الجنة بالحبشية، وسُميت شجرة المنتهى؛ لأنَّ علم الملائكة ينتهى إليها، ولا يعلم ما فوقها إلا الله عز وجلَّ.

وعن **أسماء بنت أبى بكر الصديق**[4] - رضى الله عنهما - قالت: سمعتُ النبى - صلى الله عليه وسلم - يذكر سدرة المنتهى، فقال : " يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة عام، وتستظل فى ظل الفنن منها ألف راكب ، فيها فراش من ذهب، كأن ثمرها القلال" والفنن بنونين الغصن[5]. فى القرآن العظيم:**{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}**[6] أى أغصان.

قال مقاتل[7]: شجرة المنتهى تحمل الحُلىُّ والحَلل والثمار من جميع الألوان، لو أنَّ ورقة وضعت منها لأهل الأرض لأضاءت لأهل الأرض.

وفى جامع الصحاح، عن الليث قال: شجرة المنتهى فى السماء السابعة، لا يتجاوزها نبى ولا مَلَك، قد أظلت السماء والجنة. ومنها قوله تعالى:**{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ}**[8]

---

١ الشعراء آية ١

٢ أ. ـــ م

٣ سعيد بن جبير بن هشام مولى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد كنيته أبو عبد الله من عباد المكيين وفقهاء التابعين قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين صبرا وله تسع وأربعون سنة. مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٨٢

٤ أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة عاشت مائة سنة وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. تقريب التهذيب ج١ ص٧٤٣

٥ م . أ فقال: "يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، فيها فراش من ذهب". وفى رواية:- فى ظل الفنن منها، والفنن - بنونين - الغصن.

٦ الرحمن آية ٤٨

٧ مقاتل: كبير المفسرين، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي مات سنة نيف وخمسين. سير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٠٢

٨ فاطر من الآية ١٢

وقوله تعالى:{**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً**}[1]

وأصل المرج الخلط، يقال للرجل إذا خلى الشئ حتى اختلط بغيره: قد مرجه، ومرج البحرين خلى سبيلهما حتى اختلطا، وأمر مريج مختلط، والعذب الحُلو، والفرات أعذب العُذُبة، والملح المالح، الأجاج أملح الملُوحة، ويقال: ملح، وهو الأشهر. وبه جاء القرآن، ومالح لغة قلبلة. قال الشاعر:

بصربه تزوجت بصرياً   يطعمها المالح والطريا

وقال آخر:

ولَو تَفَلَت في البَحرِ وَالبَحرُ مالِحٌ   لَأَصبَحَ ماءُ البَحرِ مِن ريقِها عَذبا[2]

وسُمِع من العرب، أما أنا فلا أيمح بمالح، أى لا أنتفع به ولا أصل.

وأصل البرزخ الحاجز بين الشيئين؛ ليمتنع من وصول أحدهما إلى الآخر، ومنه قوله تعالى:{**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ**}[3]أى حاجز يمنعهم من الرجوع إلى الدُنيا، والحاجز بين البحرين حاجز قدره؛ لأن البحر العذب يصب في الملح، ولا يختلط أحدهما بالآخر. بل يشاهد كلٌ منهما متميزاً عن الآخر مسافة طويلة، ثم بعد ذلك يغوص بحر النيل فى الملح ولا [أ/٤] يختلط به، بل يجرى تحته، مُتميزاً عنه [كالزيت مع الماء][4]، ولهذا يظهر لراكب البحر في بعض النواحي؛ فيستسقون منه للشُرب، وذلك فى أماكن معروفة، وقوله تعالى"{**وَحِجْراً مَحْجُوراً**}[5]أى حراماً مُحرماً، أى لا يختلط هذا بهذا، وهذا بهذا. وأصل الحِجرِ المنع، ومنه سُميَّ العقل حِجراً؛ لأنه يمنع صاحبه من تعاطى القبائح وما لا يليق.

---

١ الفرقان آية ٥٣

٢ من أشعار مجنون ليلى، من البحر الطويل.

٣ المؤمنون من الآية ١٠٠

٤ أ . ـــ م

٥ الفرقان من الآية ٥٣

قال تعالى:{**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**}[1] أى عقـل. ومنـه [م/٣] قوله تعالى:{**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ**}[2] أى لا يغلـب الملح على العذب فيفسد حلاوته، ولا يبغى العذب على المالح فيُفسد مرارته. وقد أحسن الشاعر فى قوله:

وبأمره البحران يلتقيان   لا يبغ على عذب مرور أجاج

وقوله تعالى:{**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**}[3] فاللؤلؤ ما عَظُم من الجـواهر، والمرجان ما صَغُر.

قال الواحدى[4]: فإن قيل: كيف قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما لا يخرجان إلا من أحدهما، وهو بحر الملح؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:-

أحدهما:- قال الثعالبى[5]: إنَّ الأصل يخرج من أحدهما، ثم حُـذف المـضاف وانفصل الضمير واتصل بمن فصار منهما.

وقال غيره: إن البحرين لما صارا واحداً باتصالهما صـح عـودة الضمير عليهما، وصح أن يقال: يخرج منهما.

[1] الفجر آية ٥

[2] الرحمن ١٩،٢٠

[3] الرحمن آية ٢٢

[4] الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي المتوي صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة فـي تـصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم، وتوفي عن مرض طويل فـي جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور. الأعلام ج٤ ص٢٥٥، أعـلام الفكر الإنسانى ج١ ص٢٦٣

[5] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. أبو منصور الثعالبي النيسابوري، الأديـب الـشاعر، صاحب التصانيف الأديبة.ولد سنة خمسين ومائة. وتوفي سنة ثلاثين وأربع مائة. وقيـل سنة تسع وعشرين.وكان يلقب بجاحظ زمانه. وتصانيفه كثيرة إلى الغاية؛ منهـا: يتيمـة الدهر، وتتمة اليتيمة؛ وهي أحسن تصانيفه. وقد اشتهرت كثيـراً. وفيـات الأعيـان ج٣ ص١٧٨، البداية والنهاية ج١٢ ص٤٤، مفتـاح الـسعادة ج١ ص٢٣١، تـاريخ الأدب العربى ج٣ ص١٠٠

وقال بعضهم: بل الصدَفة تعلوا على وجه الماء منتفخة فى وقــت المطر، فإذا وقع الماء انطبقت وغاصت فى البحر، فما وقع فيها قطرة واحدة تربت جوهرة كبيرة، وتُسمى عندهم الدُرة اليتيمة. فإن عطبت صارت صدفاً، وما وقع فيه أكثر من قطرة تُربى فيها بعدد القطر من الجواهر، وذلك اللآلئ الصغار. فعلى هذا كون الإسناد إليهما حقيقة؛ لأنَّ قطر المطر يكون كاللقـــاح للصدفة، وتربيته فى البحر.

ومنها قوله تعالى حكاية عن فرعون - لعنه الله -:**{قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}**[1]

قال صاحب الفتوح[2]: المراد بالأنهار النيل؛ قال: وكان النيل علـــى أيام فرعون مقسوماً على أنهر وجداول، وكانت أرض مصر كلها تُروى فـــى ستة عشر ذراعاً، وكانت أرض مصر وبناؤها مركب على جــداول وأنهــر تجرى تحتها من البحر، وهو معنى قوله تعالى:**{وَهَذِهِ الْأَنْهَــارُ تَجْــرِي مِــنْ تَحْتِي}** وقوله تعالى:**{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** .. الآية**}**[3]

وفى قوله تعالى:**{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}**[4] أى أمامك وبين يديك، وقد قيل أيضاً مثله هنا، والسرى النهر الصغير.

وأما الأحاديث، فمنها ما سبق، ومنها ما رُوى أنَّ النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: "**يقول الله - عز وجلَّ -: نيل مصر خيرُ أنهــارى، أســكنُ عليه خِيرتى من عبادى، فمن أرادهم بسوء كنت لهم من ورائهم**".

أورده ابن زولاق

---

[1] الزخرف من الآية ٥١

٢ الفتوح الربانية في دفع الشبهات الكورانية: رسالة تتضمن الأجوبة عن البيضاوي فـــي أول تفسير الكورانى. كشف الظنون ج٢ ص١٢٤٠

[3] الشعراء آية ٥٧

[4] مريم من الآية ٢٤

قال الكندى[1]: روى عن عقبة بن مسلم[2] يرفعه إن الله – تبارك وتعالى – يقول يوم القيامة لسكنى مصر: "**ألم أسكنكم مصر، وكنتم تشبعون من ماءها**"

قال: وسأل معاوية بن أبى سفيان[3] كعباً، فقال: أسألك بالله العظيم هل تجدُ لنيل مصر ذِكراً فى كتاب الله - عز وجلّ - - التوراة - فقال: إى والذى فلق البحر لموسى، إنى لأجد فى كتاب الله - يعنى التوراة - أنَّ الله يوحى إليه عند ابتدائه أنَّ الله يأمرك أن تجرى على كذا فاجر على اسم الله، ثم يوحى إليه عند انتهائه [أ/٥] أن الله يأمرك أن ترجع فارجع راشداً، يعنى بوحى الله إليه عند انتهاء النقص والزيادة.

قال المسعودى[4]: وليس فى الدنيا نهر يُسمى بحراً دائماً غير النيل لكثرة استبحاره، وأشار إلى قوله: {فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}[1].

---

١ أبو عمر الكندي محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصير أبو عمر الكندي مصنف تاريخ مصر، توفي في شوال سنة خمسين وثلاث مائة تقريباً. الأعلام ج٧ ص١٤٨، مؤرخو مصر الإسلامية ص٢١، العلوم عند العرب ص١٠٤ ، ١٠٦ .

٢ أحد ولاة البصرة في عهد الخلافة العباسية، تولى سنة ١٥٠ هـ ، ٧٦٧ م

٣ هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، الأموي، القرشي. مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً حليماً وقوراً، وكان يضرب بحلمه المثل. ولد بمكة سنة ٢٠ قبل الهجرة ٦٠٣م، وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـ سنة ٦٠ هـ ، ٦٨٠ م. الأعلام ج٧ ص٢٦١: ٢٦٢. الموسوعة العربية الميسرة ص١٧١٧. تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨: ٣٣٤. تاريخ بغداد ج١ ص٢٠٧ : ٢١١. سير النبلاء ج٣ ص١١٩: ١٦٢. شذرات الذهب ج١ ص٦٥. أسد الغابة ج٥ ص٢٠٩ : ٢١٢. الإصابة ج٣ ص٤٣٣: ٤٣٤. تاريخ الأدب العربي ج١ ص٤٠٦: ٤٠٨.

٤ علي بن الحسين بن على، المسعودي، أبو الحسن. من ذرية عبد الله بن مسعود.مؤرخ، جغرافي، رحالة، بحاثة.من أهل بغداد ولد بها عند نهاية القرن الثالث الهجري أي قبل سنة ٩١٢ ميلادية، وقضى عشر السنوات الأخيرة من عمره في سورية ومصر، وتوفى في القاهرة حوالي سنة ٣٤٦ هـ ، ٩٥٧ م. وله المؤلف المعروف عند جلة المؤرخين، وهو كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وهو موسوعة تاريخية جغرافية انتهى من تأليفها حوالي سنة ٩٤٧م، ثم نظر فيها ونقحها من بعد ذلك، وانتهى من تنقيحها سنة ٩٥٦ أو

قال ابن عباس: يريد النيل، وذلك أنها جعلته فى تابوت، وألقته فى النيل، فحمله الموج إلى دار فرعون، فأخذه ورباه صغيراً لأمرٍ يُراد.

قال: وليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل.

قال الكندى: وروى أن الله تعالى خلق نيل مصر مُعادلاً لجميع أنهار الدُنيا ومياهها. فحين يبتدأ فى الزيادة تنقص كلها لمادته.

وذكر أبو قُبل أن نيل مصر فى زيادته يعود كله من أوله إلى آخره، وهذا هو السبب فى تكدُّره؛ لأنَّ العيون إذا انبعثت من الأرض اختلطت بالطين فى حال نبعها فتكدرت.

قال: وأجمع أهل العلم على أنه ليس فى الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسير شهر فى الإسلام، وشهرين فى النوبة، وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج [م/٤] من جبل القمر خلف خط الاستواء، وليس فى الدنيا نهر يصب فى بحر الروم والصين غير نيل مصر، وليس فى الدنيا نهر يزيد ويمد فى أشد ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا وعيونها غير بحر النيل، وكلما زاد الحر كان أوفر لزيادته، وليس فى الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل. ولا يخبأ من خراج نهر من أنهار الدنيا ما يخبأ من خراج النيل، وليس فى الدنيا نهر ينبت عليه القمح اليوسفى غير النيل.

قال الكندى: وولى ابن الجنحاب خراج مصر لأمير المؤمنين هشام[2]، فخرج بنفسه؛ فمسح أرض مصر التى تروى بالنيل، عامرها وغامرها، فوجد فيها ثلاثين ألف ألف فدان.

---

٩٥٧ م، أي سنة وفاته على الأرجح. الزركلي : الأعلام ج٤ ص٢٧٧. سير ملهمة من الشرق والغرب ص ٣٤. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ج٢ص٤٥٠ : ٤٥١.

[1] القصص من الآية ٧

٢ هو هشام بن عبد الملك بن مرْوَان بن الحكم، الأموي، القرشي، أبو الوليد. عاشر خلفاء الدولة الأموية، ولد في دمشق سنة ٧١ هـ، ٦٩٠ م، وبويع له فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ، ٧٢٣ م، وتوفي فيها سنة ١٢٥ هـ، ٧٤٣ م.وكان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يُباشر الأعمال بنفسه، وكان حازماً عاقلاً. سير النبلاء ج٥ ص٣٥١: ٣٥٣ البداية

قال ابن لهيعة[1]: كان لنيل مصر قطفة على كورة مصر عشرون ومائة ألف رجل، معهم المساحى والآلة سبعون ألفاً للصعيد، وخمسون[2] [ألفاً][3] لأسفل الأرض لحفر الخليج وإقامة الجسور والقناطر وسدُ الترع وقلع القضبان والحلفا وكل نبت يضر بالأرض.

وقال محفوظ بن سليمان[4]: إذا أتم الماء ستة عشر زراعاً فقد وافى خراج مصر، فإن زاد الماء على ذلك ذراعاً واحداً نقص مائة ألف لما يستبحر من البطون.

قال المسعودى: يبتدى نيل مصر بالنقص والزيادة بعد بؤنة، وأبيب، ومسرى. وإذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله، فإذا انتهت الزيادة إلى أذرع ستة عشر ففيه تمام الخراج الذى للسلطان، وخصب الناس، وفيه طمأ رتع للبهائم لعدم المرعى والكلأ، وأتم الزيادة العامة النافعة للبلاد كلها سبعة عشر ذراعاً. وفى ذلك كفافها، ووفى[5] جميع أرضها، وإذا زادت على السبعة عُشر ذراعاً وبلغت ثمانية عشر وأغلقها[6] استبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع، لما ذكرنا من وجود الاستبحار وغير ذلك.

والنهاية ج٩ ص٣٩٥: ٣٩٩. تاريخ الخلفاء ص ٣٩٤: ٣٩٨. الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٩٨. الأعلام ج٨ ص٨٦.

[1] ابن لهيعه: عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان، عالم الديار المصرية وقاضيها ومفتيها ومحدثها. وتوفي سنة أربع وسبعين ومائة.المبتكر الجامع لكتابى المختصر والمعتصر فى علوم الأثر ص١٤٦ ، ص١٤٧. الأعلام ج٤ ص١١٥

[2] م . سبعون أ

[3] أ . ــ م

[4] أمير، ولي خراج مصر لما عجز الليث بن الفضل عنها وقال للرشيد : أنا أجبيها لك بلا سوط ولا عصا.توفي عام ٢٥٤هـ = ٨٦٨م.

[5] م . أ روى .

[6] م . أ إفاضتها

وإذا كانت الزيادة ثمانية عشر كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر.

قال: ومساحة الزراع إلى أن يبلغ اثنا عشر ذراعاً ثمانية وعشرون إصبعاً ومن اثنى عشر [أ/٦] ذراعاً إلى ما فوق، يصير الذراع أربعة وعشرين إصبعاً، وأقلُّ ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفى مثل تلك السنة يكون الماء قليلاً، والأذرع التى تسقى عليها بمصر ذراعان، يسمى منكر ونكير، وهى ذراع ثلاثة عشر ذراعاً، وذراع أربعة عشر ذراعاً، فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزاد نصف ذراع من الخمسة عشر استسقى الناس بمصر، وكان الضرر شاملاً لكل البلدان إلى أن يأذن الله فى زيادة الماء، وإذا دخل الماء فى ستة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه، وكان ذلك نقصاً من خراج السُلطان.

قال: وكانت مصر كلها تُروى من ستة عشر ذراعاً، وكانت فيما يذكر أكثر البلاد جناناً. وذلك أنَّ جنانها كانت متصلة بحافتى النيل، من أوله إلى آخره، من حد أسوان إلى رشيد. وكان الماء إذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى، وخليج الفيوم، وخليج سردوس. وكان الذى ولى حفر خليج سردوس لفرعون - لعنه الله - هامان - عدو الله -، وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فإن الذى حفرهما يوسف بن يعقوب - عليهما السلام -.

قال الكندى: ولما أهدى المقوقس صاحب مصر إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ثياباً، وكراعاً، وأختين من القبط مارية[1] وأختها[2]، أهدى إليه عسلاً وغير ذلك. فقبل هديته، وتسرَّى بمارية، فأولدها إبراهيم،

---

[1] مارية القبطية أم ولد رسول الله، وأم المؤمنين أنظر فى ترجمتها. الإصابة ج٨ ص١١١، سيدات بيت النبوة ٣٩٥ وما بعدها.

٢ سيرين أخت مارية القبطية، أهداهما جميعاً المقوقس صاحب مصر والإسكندرية إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع مأبور الخصي فاتخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مارية لنفسه، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وهي أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. الاستيعاب ج٤ ص١٨٦٨

وأهدى أختها لحسان بن ثابت الأنصارى[1]، فأولدها حسان ابنه عبد الرحمن بن حسان[2]. وسأل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن العسل الذى أهدى له من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية يقال لها بنها، فقال: اللهم بارك [م/٥] فى بنها وفى عسلها. واتفقوا على أنَّ عسل مصر أطيب، وماؤها أطيب، ولحمها أطيب، وحَبُها أطيب، ولهذا فُضلت مصر عن الشام؛ لأنَّ هذه الثلاثة هى عماد الحياة. فحبها أفضل من حبُ الشام، وكذا لحمها وماؤها.

وعن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: دعى نوح - عليه السلام - لمصر بن بيصر بن حام بن نوح، وبه سُميت مصر، وهو أمير القبط. فقال: اللهم بارك فيه وفى ذريته، واسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد، وعون العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا.

وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}**[3] أنَّ المراد بالمكان المذكور المبارك فيه حول المسجد الأقصى مصر، ولكنَّ الآية أعمُّ من ذلك؛ لأنَّ الله تعالى بارك لأهله فيما حوله من معاشهم وأنسابهم، وبارك فيه بدفن الأنبياء والصالحين وغير ذلك، وذكر الثعلبى فى قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة.

---

[1] هو أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الوليد، ويقال: أبو الحسام حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين الاستيعاب ج١ ص١٦١، أسد الغابة ج٢ ص٥ . سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥١٢، الإصابة ج١ ص٣٢٦ ، الأعلام ج٢ ص١٧٥ ، تاريخ الأدب العربى ج١ ص٣٢٦

٢ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، كنيته أبو سعيد، عاش عشرين ومائة سنة وعاش ابنه المنذر عشرين ومائة سنة وعاش بن ابنه ثابت بن المنذر عشرين ومائة سنة وكان حسان بن ثابت قد عاش عشرين ومائة سنة، وكان عبد الرحمن بن حسان إذا ذكر هذا الحديث استلقى على فراشه وضحك وتمدد، مات سنة أربع ومائة وهو ابن اثنين وسبعين سنة، وقيل: وهو ابن ثمان وأربعين سنة أمه سيرين أخت مارية القبطية. الثقات ج٥ ص٨٩

٣ الإسراء من الآية ١

وقال فى قوله تعالى: {**إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ**}[1]، أنَّ البدو أرض الشام.

[من كان بمصر من الأنبياء]

قال ابن زولاق: كان بمصر من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إبراهيم [٧/أ] الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف بن يعقوب واثنى عشر سبطاً من أولاد يعقوب - عليه السلام -.

[من ولد بمصر من الأنبياء]

وولد جماعة من الأنبياء، موسى وهارون **ويوشع بن نون** ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم وولدته أمه بأهناس[2] - المدينة المعروفة - وبها النخلة التى قال الله تعالى فيها:{**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً**}[3].

---

١ يوسف من الآية ١٠٠

٢ أهناس: بالفتح، اسم لموضعين بمصر، أحدهما اسم كورة في الصعيد الأدنى، يقال: لقصبتها أهناس المدينة، وأضيفت نواحيها إلى كورة البهنسا. وأهناس هذه قديمة أزلية، وقد خرب أكثرها، وهي على غربي النيل، ليست ببعيدة عن الفسطاط، وذكر بعضهم أن المسيح -عليه السلام- ولد في أهناس، وأن النخلة المذكورة في القرآن المجيد:{وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا}هناك وأن مريم -عليها السلام- أقامت بها إلى أن نشأ المسيح -عليه السلام- وسار إلى الشام، وبها ثمار وزيتون وإليها ينسب دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأهناس الصغرى في كورة البهنسا أيضاً قرية كبيرة. معجم البلدان ج١ ص٢٨٤

٣ مريم آية ٢٥

[من كان بمصر من الصديقين]

وكان بمصر من الصديقين مؤمن آل فرعون، والخضر. ويقال والله أعلم: إنه ابن فرعون لصلبه، آمن بموسى - عليه السلام - ولحق به، وجعله الله - تعالى - نبياً وآية.

[المواضع الشريفة بمصر]

وبمصر مواضع شريفة منها:- الوادى المُقدس، وبها الطور، وبها ألقى موسى عصاه، وبها انفلق البحر لموسى، وبها النخلة التى أُمرت مريم بهزها، وبها النخلة التى أُمرت مريم بأن تضع تحتها عيسى - عليه السلام -؛ فلم يُثمر غيرُها، وهى بالجيزة. وبها الجميزة التى صلى موسى - عليه السلام - تحتها بطُرى.

وقيل فى قوله تعالى:{**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**}[1] أنَّ المراد بالربوة البهنسا[2]، قال أبو الحكم بن مفضل البهنسى فى كتابه فضائل مصر: قال شيخى الصحيح: أنَّ الربوة التى آوى إليها المسيح وأمه بمدينة البهنسا فى موضع يُعرف الآن بمسجد "الديوان"، آوى به هو وأمه سبع سنين. قال: وأما الربوة التى بدمشق فموضع مبارك؛ نزه مليح فى لحف الجبل، وليست الربوة التى ذكر الله - عز وجلَّ - فى كتابه؛ لأنَّ عيسى - عليه السلام - ما دخل دمشق ولا وطئ أرض الشام، قيل: الربوة التى هى بمصر، وقيل: هى الرملة.

---

[1] المؤمنون ٥٠

[2] البهنسا: بالفتح ثم السكون وسين مهملة مقصورة مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف إليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخل وبظاهرها مشهد يزار يزعمون أن المسيح وأمه أقاما به سبع سنين وبها برابي عجيبة ينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد العطار البهنسي حدث عن يحيى بن نصر الخولاني توفي في شهر ربيع الأول سنة ٤١٣ وأبو الحسن علي ابن القاسم بن محمد بن عبد الله البهنسي روى عن بكر بن سهل الدمياطي وغيره روى عنه أبو مطر علي بن عبد الله المعافري معجم البلدان ج١ ص٥١٦

قيل: والنخلة التى كانت تنضح له الزيت **بمدينة أشمون**[1] مشهورة، والنخلة التى آوت إليها أمه بسدمنت مشهورة مذكورة، وإقامة الحواريون معه بمدينة البهنسا غير منكورة، وبركة عيسى - عليه السلام - ظاهرة، وبئر البلسم التى بأرض المطرية، ودعوته لأهل البهنسا مشهورة.

قال: وفى مصر الأنبياء، والمرسلون، وأولوا العزم المُكلمون، وأبناء الأسباط من بنى إسرائيل، **وذو القرنين، والإسكندر**، والحكماء اليونانيون، والفلاسفة المقدمون، وذو الهيئة والآلة، والطلاسم والحركات، والرصد والنجمات والمساحات، والخبر، والمقابلات، كهرمس، **وبقراط، وجالينيوس**، وقيداغورس، وإليوس، وغير ذلك.

قال الكندى: قال كعب الأحبار: منَ أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر [م/٦] إلى مصر إذا أخرجت، وإذا أزهرت، وإذا اطردت أنهارها، وتهذبت ثمارها، وفاض خيرها، وغنَّت طيورها.

قال: وقال عبد الله بن عمر: من أراد أن ينظر إلى شبه الفردوس فلينظر إلى أرض مصر [عندما] تخضر زروعها، ويزهو ربيعها، وتكس بالنوادر أشجارها.

قال المسعودى فى مروج الذهب: وصف بعض الحكماء مصر، [٨/أ] فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء. فأما اللؤلؤة البيضاء فهى شهر أبيب، وهى ثور وسرى وتوت؛ يركبها الماء، فترى الدنيا بيضاء، وأما المسكة السوداء فإن فى شهر بابة تنكشف الأرض فتصير أرضاً سوداء، وتقع

---

[1] أشمون، بالنون. وأهل مصر يقولون: الأشمونين، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل، ذات بساتين ونخل كثير، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح قالوا: قسم مصر بن بيصر نواحي مصر بين ولده فجعل لابنه أشمن من أشمون فما دونها إلى منف في الشرق والغرب وسكن أشمن من أشمون؛ فسميت به، ينسب إليها جماعة منهم أبو إسماعيل ضمام بن إسماعيل بن مالك المعافري الأشموني مات بالإسكندرية سنة ٥٨١. معجم البلدان ج١ ص٢٠٠

فيها الزراعات وللأرض روائح طيبة تشبة رائحة المسك، وأما الزمردة الخضراء فإنَّ فى شهر طوبة وأمشير وبرمهات تلمع الأرض ويكثر عُشبها ونباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة، وأما السبيكة الذهب فى شهر برمودة وبشمس وبونة يبيَّضُ الزرع، وبنور ذا العُشب فتشبه الذهب فى المنظر.

قال: ووصف آخر مصر فقال: نيلها عجب، وأرضها ذهب، وهى لمن غلب ملكها سلب، ومالها رغب، وخيرها جلب، وفى أهلها صحب، وطاعتهم رهب، وسلمهم شغب، وحربهم حرب، ونهرها النيل من سادات الأنهار وأشرف البحار[1]؛ لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة.

[حيوانات النيل]

قال: وفى نيل مصر أعاجيب كثيرة من أنواع الحيوان منها: **التمساح**، وهو السمسار، فلا يوجد إلا بنيل مصر، وهو يأكل وبطنه كالجراب ليس له مخرج، بل يتغوط من فيه.

وذكر ابن الجوزى قال: فإذا أكل وبقى الطعام بين أسنانه تربَّى فيه دود؛ فيأتى إلى البر؛ فينام ويفتح فاه، فيأتى طير فيدخل فاه؛ ويلتقط ذلك الدود، فإذا أحسَّ التمساح أنَّ الدود قد فرغ، طبق فمه على الطائر؛ ليأكله.

وجعل الله - تعالى - لذلك الطائر إبرتين من العظم فى طرفى جناحيه؛ فإذا أطبق فمه عليه ضرب بهما فى سقف حلقه، فيفتح فاه، فيخرج الطائر.

قال المسعودى: وخلق الله - تعالى - دويبة نيل مصر؛ تعادى التمساح، وتستخفى له فى الرمل فى موضع يرقد فيه، ويفتح فاه لذلك الطائر، فإذا دخلت جوفه اضطرب ونزل البحر، فتأكل تلك الدويبة أحشاه، وتخرق بطنه، وفى ذلك هلاكه.

---

١ م. أ الأنهار

وفى كتاب القزوينى[1]: أنَّ الذى يفعل ذلك بالتمساح هو كلب الماء.

وذكر المسعودى: أنَّ التمساح هو الورك، وكذا قال الحموى فى كتابه "التمويه فيما يرد على التنبيه"[2] وقال: إن التمساح يبيض فى البر، ويدفن بيضه فى الرمل، فإذا أخرج فرخه، فما نزل البحر منه كان تمساحاً، وما طلع البر واستمر فيه صار ورلاً، وإذا صح أنَّ الورل فرخ التمساح أطرد فيه الوجهان فى جواز أكل التمساح، وهذه الحكاية ذكر نظيرها عن أم طبق البحرية، وهى المسماة عند العامة **بالترسة**[3].

---

[1] هو: زكريا بن محمد بن محمود، عماد الدين، أبو عبد الله، القاضي، القزويني. مؤرخ، جغرافي، من القُضَاة. ينتهي نسبه إلى أنس بن مالك الأنصاري الصحابي رضي الله عنه.ولد في مدينة "قَزْوِيْن" سنة ٦٠٥ هـ ، ١٢٠٨: ١٢٠٩ م، ورحل إلى الشام والعراق، ودخل دمشق شاباً، وتولى قضاء "واسط" و "الحلة" في زمن المستعصم العباسي، وعندما سقطت بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ، ١٢٥٨: ١٢٥٩م كان القزويني لا يزال في هذا المنصب. وقد ترك القزويني عدداً من المؤلفات التي تدل على ثقافته وفكره، منها كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" الذي تحدث فيه في الفَلَك والجغرافيا الطبيعية عند المسلمين، وهو كتاب يعد من أوفى المراجع في هذا الميدان، لولا ما يشوبه من الأوهام التي كانت شائعة على ذلك العهد. دائرة معارف الشعب ج١ص٣١٢ : ٣١٩. الأعلام ج٣ص٤٦.. الوافي ج١٤ ص٢٨٩ عجائب المخلوقات ص ٢ هداية العارفين ج١ ص٣٧٣ معجم المطبوعات ج٢ ص١٥٠٧ معجم المؤلفين ج٤ ص١٨٣، المستدرك ص٢٦٠ روضات الجنات ج٣ ص٣٩٣

[2] انظر هداية العارفين ج١ ص١٧٧

[3] الترسة: هي حيوان بحري يعيش على الأعشاب البحرية اكتسب شهرة واسعة لدى قطاع واسع من الناس الذين يتهافتون على شراء لحمه.. وبيضه.. ودمه لعلاج الأمراض كالعقم.. والسمنة.. والربو ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن يثبت أن الترسة حققت له مطلبه ! هذا على الرغم من ازدحام الناس في طوابير طويلة طمعاً بكوب دم.. أو قطعة لحم.. أو سلة بيض بأي ثمن؟والترسة تختلف من حيث الحجم.. والعمر.. واللون.. ويتراوح عمر ما يذبح منها ما بين أربعة اشهر إلى عامين.. وألوانها " المرغوبة " الأخضر.. الفاتح.. و"العشاري".. وتباع منتجات " الترسة " في أماكن معينة في أسواق السمك.. لعل أبرزها حلقة السمك في حي الانفوشي بالاسكندرية حيث يتجمهر العشرات من الناس منذ الصباح الباكر من يومي الجمعة والأحد التماساً للمطلوب ! الغريب أن هذا

قال الملاحون: إنها تبيض فى البر وتغطى بيضها بالرمل، وتنزل إلى البحر، فتُعد له أياماً، وكذلك يُعدها التمساح لبيضه، ثم تحفر عن البيض، فيخرج الفرخ، فما تبعها ونزل البحر صار لجاة، وما بقى فى البر صار **سلحفاة**، والسلحفاة أكلها حرام، [أ/٩] وكذلك الترسة.

نقل النووى تحريمها عن الأصحاب فى شرح المهذب فى كتاب الحج، لم يتعرض لها الرافعى ولا أصحاب الروضة وكثير من الناس يأكلونها وهو حرام.

نعم، يجوز أكل بيضها كما يجوز أكل بيض التمساح وبيض الغراب والحداة على الصحيح فى جميع ذلك؛ [م/٧] لأنه طاهر لا ضرر فى أكله، وليس بمستقذر، كذا جزم به القمورى فى الجواهر[١]، والنووى فى شرح المهذب فى باب النجاسة وهو ظاهر كلانه فى المهذب فى باب البيع بأنه علل جواز بيعه بأنه طاهر، مُنْتَفِعٌ به والله أعلم.

ومنها السمكة المعروفة بالرَّعَّادَة، وهى نحو الذراع[٢] ، فإذا وقعت فى شبكة الصيَّاد ارتعدت يداه وعضداه، فيعلم بوقعها، فيُبَادِر إلى تحصيلها، ولو أمسكها بخشبة أو قصبة فعلت كذلك.

قال المسعودى: وقد ذكرها جالينيوس وأنها إذا جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى حماه هدأ بساعة.

الفصل الثانى

فى شأن المكان الذى يخرج أصل النيل منه وفى أى مكان يذهب به، وبيان سبب خُضرته، وفى المقاييس المجعولة عليه وغير ذلك.

الازدحام والتجمهر الكثيف يضم شرائح من المثقفين.. والأطباء والمفكرين.. رجالاً.. ونساء وغيرهم ممن يفترض أنهم أكثر وعياً ودراية من أن ينساقوا خلف الخرافة.. والدجل!!

[١] جواهر البحر في تلخيص البحر المحيط في شرح الوسيط، لنجم الدين : أحمد بن محمد القمولي الشافعي المتوفى : سنة ٧٢٧. كشف الظنون ج١ ص٦١٣

[٢] م . أ وهى بسمها تُخدر الذراع.

وقد تقدَّم إنه يخرج من جبل القمر على ما ذكره الكِنْدى، وذكـــره أيضاً المسعودى وصاحب الأقاليم السبعة[1] قال: إنه يخرج من أصل جبل القمر من عشرة عيون، خمسة تجتمع فى بطيخة، وخمسة فى بطيخة، يعنى مكـــان مسطح من الأرض، ثم يجتمع بعد ذلك المآن ، وذكر صورة جبل القمر وإنه مُقوس، وعلى رأسه شراريف هكذا ....

وذكر المسعودى فى مروج الذهب: أن الفلاسفة قالوا: إنه يجرى على وجه الأرض تسعمائة فرسخ، وقيل: ألف فرسخ، فى عامرها وغامرها[2] من عمران وخراب، حتى يأتى إلى بلاد أسوان من صعيد مصر، إلـــى هـــذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من أســـوان جبـــال أحجار يجرى النيل فى وسطها، ولا سبيل إلى جريان الـــسفن فيـــه، وهـــذا الموضع فارق بين سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين، ويعرف هـــذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور، ثم يأتى الفسطاط فينقسم خلجاناً إلـــى بلاد تنيس ودمياط ورشيد وإلى الإسكندرية، كلٌ يصب إلى البحر[3].

قال: وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر، ومبدأ ظهوره مـــن اثنى عشر عيناً، وجبل القمر خلف خط الاستواء، يعنى الذى يستوى فيه الليل والنهار، وأضيف إلى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه؛ بسبب النور والظلمة والبدر والمحاق.

قال المسعودى: فتنصب تلك المياه الخارجة من الاثنى عشر عيناً من النيل إلى بحيرتين هناك. وهو معنى كلام صاحب الأقاليم فى بطيخة.

قال: ثم يجتمع الماء منها جارياً، فيمر برمال هناك وجبـــال، ثـــم يخترق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج، فينبع منه خليج بحر إلـــى بحـــر

---

١ الأقاليم السبعة للشيخ أبي القاسم: محمد بن أحمد لسيماوي العراقـــي صـــاحب كتـــاب: (المكتسب) مختصر أوله: (الحمد لله المبدع الأول . . . الـــخ) والمـــراد مـــن الأقـــاليم: المعادن. كشف الظنون ج٢ ص١٣٩٥

٢ م . أ خاربها

٣ م . أ جهة

الزنج، وهو جزيرة فينكوا[1]، جزيرة عامرة، فيها قوم مـن المـسلمين إلا أن لغتهم زنجية، غلبوا [أ/١٠] على هذه الجزيرة، وسبوا من كان فيها من الزنج، كغابة المسلمين على الجزيرة، وهى جزيرة أفريطش فى البحر الرومى، وذلك فى مبدأ الدولة الأموية، ومنها إلى عمان فى البحر من نحو خمسمائة فرسـخ على ما يقوله البحريون، وذكر جماعة أنهم يشاهدون فى هذا البحر الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل ذلك بقليل ما يخرق هذا البحر ويشق قطعة منه من شدة جريانه، ويخرج من جبال الزنج، وعرضه أكثر من ميل يتكدر فـى أوان الزيادة بمصر وصعيدها.

قال: وذكر الحافظ، أن نهران السند من نيل مصر، واستدل علـى ذلك بوجود التماسيح فيه.

قال المسعودى: وكان أحمد بن طولون[2] فى سـنة نيـف وسـتين ومائتين بلغه أنَّ رجلاً بأعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومائة سـنة مـن الأنباط، ممن يُشار إليه بالعلم، وأنه علاَّمة بمصر وأرضها من برها وبحرها وأجنادها وأجناد ملوكها، وأنه ممن سافر الأرض وتوسط الممالك وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان، وإنه ذو معرفة بأنواع هيئات الأفلاك وأحكامها؛ فبعث إليه أحمد وأخلى له نفسه فى ليالى وأيام كثيرة، يسمع كلامه وإنـذاره وجواباته[3]، فكان مما سأله عن طول الأحابيش على النيل [م/٨] وممالكهم، قال:

---

[1] م . أ فيلو

[2] أحمد بن طولون: التركي صاحب مصر أبو العباس، ولد بسامراء، وقيل: بل تبناه الأمير طولون، وطولون قدمه صاحب ما وراء النهر إلى المامون في عدة مماليك سنة مـائتين، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومائتين، فأجاد ابنه أحمد حفظ القران وطلب العلم وتنقلـت به الأحوال وتأمر وولي ثغور الشام ثم إمرة دمشق، ثم ولي الديار المصرية في سنة أربع وخمسين وله إذ ذاك أربعون سنة، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً سائساً جواداً ممدحاً من دهاه الملوك، قيل: كانت مؤنته في اليوم ألف دينار، وكان يرجع إلى عدل وبـذل، لكنـه جبار سفاك للدماء، قال القضاعي: أحصى من قتله صبراً أو مات في سجنه فبلغوا ثمانيـة عشر ألفاً، وانشأ بظاهر مصر جامعاً غرم عليه مائة ألف دينار، وكـان جيـد الإسـلام، معظما للشعائر. سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٩٤

[3] م . أ حكاياته

لقيت من ملوكهم ستين ملِكاً، فى ممالك مختلفة، كلٌ منهم ينازع من يليه من الممالك، وبلادهم حارة يابسة.

قال [له][1]: فما مُنتهى النيل فى أعلاه؟ قال: البحيرة التى لا يُدرك طولها وعرضها، وهى نحو الأرض التى الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر، وهى تحت الموضع التى تسميه المنجمون "الفلك المستقيم"، وما ذكرته فمعروف غير منكور، انتهى كلامه.

وقال ابن زولاق فى تاريخه: ذكر عن بعض خلفاء مصر إنه أمر قوماً بالمسير إلى حيث يجرى النيل، فساروا حتى انتهوا إلى جبل عالٍ، [قال][2]: والماء ينزل من أعلاه، له دوى وهدير، لا يكاد يسمع أحدهم [كلام][3] صاحبه، ثم إن أحدهم تسبب فى الصعود إلى أعلى الجبل؛ لينظر ما وراء ذلك، فلمَّا وصل إلى أعلاه رقص وصفَّق وضحك، ثم مضى فى الجبل ولم يعد، ولم تعلم أصحابه ما شأنه، ثم إن رجلاً منهم صعد؛ لينظر [صاحبه][4]، ففعل مثل الأول، فطلع ثالث وقال [لأصحابه][5]: اربطوا فى وسطى حبلاً، فإذا أنا وصلت إلى ما وصلا إليه ثم فعلت كما فعلا فاجذبونى حتى لا أبرح موضعى[6]، ففعلوا ذلك، فلما وصار[7] لأعلى الجبل فعل كفعلهم، فجذبوه إليهم.فقيل: إنه خرس، فلم يرد جواباً، ومات من ساعته، فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك.

---

١ أ . ـ م

٢ أ . ـ م

٣ أ . ـ م

٤ أ . ـ م

٥ أ . ـ م

٦ م . أ مكانى

٧ م . أ وصل

فصل فى كورة سيوط

وجبل أبى فائدة الذى على النيل

قال الكندى: وعلى نهر النيل كورة سيوط، ذكر أنه صُور للرشيد صورة الدنيا، فما أعجبه منها غير كورة سيوط، مساحة ثلاثين ألف فدان فى دشت واحد، لو قطرت قطرة واحدة فاضت على جميع جوانبه، يُـزرع فيـه الكتان والقمح والقرظ وسائر أصناف الغلاّت، فلا يكون على وجـه الأرض بساط أعجب منه، وبسائره من جوانبه الغربى جبل أبـيض علـى صـورة الطيلسان، كأنه قرون، ويحف به [١١/أ] من جانبه الشرقى النيل، كأنه جـدول فضة لا يُسمع فيه الكلام من كثرة أصوات الطير.

فصل فى الأهرامات

قال ابن زولاق: إن هرميس الأكبر وابنه بنوا الهـرمين، وإنهمـا جعلا عرض حائطهما ثلاثمائة ذراع بذراعهم.

قال: وكانت الصابئة[١] تحج للأهرام، ولما أتى الطوفان لم يهد منها شيئاً، ولكن ردم ثلث البناء. فقيل: إن هذا الذى بقى منهم بعـض مـا دُفـن، وكانت الصابئة تطوف بهما ويقولون يا أبا الهول، إليك قد حججنا.

قال: وسعة الهرمين أربعمائة ذراع فى ارتفاع مثلها. أحدهما قبـر هرمس، والآخر قبر تلميذه أعاد ثيمون، وكانا فى سالف الـدهر مـستورين بالديباج.

قال المسعودى: وسأل أحمد بن طولون ذلك الشيخ عن بناء الأهرام، فقال: إنها قبور لملوك، وكان الملك منهم إذا مات وضع فى حوض حجـارة أطبق عليه، ثم يبنى له من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان والأقبا، ثم يرفعون البناء هذا المقدار الذى ترونه، ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفـر لـه

---

[١] الصابئة: قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وقبلتهم مهب الشمال ثم منتصف النهار. التعاريف ج١ ص٤٤٥

طريق فى الأرض ويعقد أزج[1]، ويكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وأكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت.

قيل له: فكيف بنيت الأهرام المُمْلَسة؟ وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون؟ وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا أن يحركوا الحجر الواحد منها إلا بجهد إن قدروا[2].

فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرجاً ذا مراقى كالدرج، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل. هذه كانت حيلتهم، وكانوا مع هذا لهم قوة وصبر وطاعة لملوكهم وثابِتة.

فقيل له: ما بال هذه الكتابة التى على الأهرام والبرابى لا تُقرأ؟ قال: دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومى، وذهبت عنهم كتابة آبائهم، وأنَّ من تلك الكتابة: "**إنا بنيناها، فمن يدَّعى موازنتنا فى الملك أو بلوغنا فى القدر وانتهاؤنا فى** [م/٨] **الملك والسلطان فليهدمها، وليزل رسمها، فإن الهدم أيسر من البناء، والتفريق أيسر من التأليف**". وقد ذكر أنَّ بعض ملوك الإسلام شرع فى هدم بعضها، فإن خراج مصر وغيرها من الأرض لا يوافى بقلعها، وهى من الحجر الرخام[3].

---

١ الأَزَجُ: بيْتٌ يُبْنى طُولاً، ويقال له بالفارسية أوستان والتَّأْزِيجُ: الفِعْلُ، والجمع آزُجٌ و آزاجٌ؛ قال الأَعشى: بناه سليمانُ بنُ داودَ حِقْبَةً. لسان العرب ج٢ ص٢٠٨

٢ م . أ بل لا يقدرون على ذلك.

٣ يقول الحسن بن أبى محمد الصفدى فى كتابه نزهة المالك والمملوك: وفى هذه السنة دخل المأمون إلى مصر، وفتح هذه الثغرة التى فى الهرم الشرقى وكان السبب فى ذلك أن المأمون كان عنده حكمة ومعرفة، وله عقل، وتمييز، فركب إلى الأهرام يتفرج فيها، فأطَّلع على ذخائرها، فقصد فتحها وهدمها، فقال له شيخ من مشايخ مصر: يقال له: غفير أن فى هذا مشقة، وهو غير ممكن يا أمير المؤمنين لأنها مبنية بالحديد والرصاص مُمتنعة بكل ناحية، وهى عظيمة بلا نهاية، ولا يحسن بمثل مولانا أمير المؤمنين طلب شيئاً ولا يناله، فقال المأمون: لابد لى من ذلك ، فاتفق الأمر على الهرم البحرى، ففتح من جانبه البحرى لأجل وقوع الشمس على رؤس الفعلة، والذين يعملون فى فتحه، فكانوا يُوقدون النار عند الحجر، فإذا حمىَّ رَشوا عليه الخل، ورموه بالمنجنيق حتى فتَح منه الثُلمة التى

قال المسعودى: وسأله عن مدينة العقاب فقال: هى غربى أهرام بوصير الجيزة. وهى على خمسة أيام بلياليها للراكب المُجد، وقد عور طريقها وعمى.

وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر والأموال. وسأله عن النوبة وأرضها فقال: هم أصحاب إبل وبخت وبقر وغنم، والأغلب من ركوب عوامهم البراذين، ورميهم بالنبل عن قسى عربية، وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب، وهم الذين تُسميهم العرب رُماة الحدق، ولهم النخل والكَرْم والذرة والموز والحنطة، وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن، وللنوبة أترج كأكبر ما يكون بأرض الإسلام وملوكهم تزعم أنها من حمير، وملكهم يستولى على معدى ونوبة ووراء علوه أمه عظيمة من السودان تُدعى بكنة، وهم عُراة كالزنج، وأرضهم تنبت الذهب، وفى مملكة هذه الأمة يفترق النيل، فيتشعب منه خليج عظيم، ثم ينحدر الخليج من بعد انفصاله عن النيل، وينحدر الأكثر إلى أرض النوبة [أ/١٢] فإذا كان فى بعض الأزمنة انفصل الأكثر من الماء فى ذلك الخليج وابيض الأكثر واخضر الأقل، فيشق ذلك الخليج فى أودية وخلجان وأعماق مأنوسة حتى يخرج إلى[1]حلابس والجنوب، وذلك ساحل الزنج ومصبه فى بحرهم، انتهى كلام المسعودى.

يدخل منها إلى الهرم الآن، فوجدوا بنيانه على ما ذكر ووجدوا عرض الحائط قريباً من عشرين ذراعاً، وكان حفرهم له موازناً، متوسطاً، فلما وصلوا إلى آخر الفتح وجدوا جُرناً أخضر من الرخام، فيه مال مصبوب على شبه الدنانير العراض، وكان وزن كل دينار منها تسع وعشرين مثقالاً ونصف، فعرض ذلك على المأمون، فأمرهم بوزن الجميع من الذهب، فوجدوا ذلك مالاً معلوماً، فقال لهم المأمون: ارفعوا إلى حساب ما أنفق على فتح الأهرام، فرفعوا له ذلك الحساب، فوجدوه موازناً لما وجده من المال فى الهرم، سواء بسواء، من غير زيادة، ولا نقصان، فتعجب المأمون من ذلك عجباً شديداً، وعجب من معرفتهم بالموضع الذى يُفتح منه الهرم على طول الزمان. انظر نزهة المالك والمملوك ص١٤٦

١م . أ من بلاد.

ومنه يُؤخذ أن خُضرة النيل عند الزيادة تكون من خـضرة ذلـك الخليج، لأنه متصل به، وسمعت بعضهم يذكر أنَّ فى أعلى النيل بِركة تنقطع عن النيل فى آوان النقص، فتخضر لطول مكثها، فإذا كان أوان الزيادة وازداد الماء صب ماؤها فى البحر فيخضر والله أعلم.

فصل

وأما الحائط الممتدة بالجانب الشرقى من النيل، ذكر المسعودى إنه لما أغرق الله - تعالى – فرعون ومن معه من الجنود خشى من بقى بـأرض مصر من الذرارى والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والعرب، فملَّكـوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم، يقال لها: دلوكة، فبنت على بلاد مصر حائطـاً تحيط بجميع البلدان، وجعلت عليه المجارس والأجراس والرجـال متـصلة أصواتهم بقرب من بعضهم، وأثر هذا الحائط موجود فى هذا الوقـت، وهـو سنة **ثمانين وسبعمائة** يُعرف بحائط العجوز، قاله المسعودى.

وقيل: إنما بنته خوفاً على ولد لها، كان كثير القنص، فخافت عليه سباع البر والبحر، واغتيال من جاور أرضهم من الملوك وأهـل البـوادى؛ فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها.

وقيل غير ذلك: فملكتهم ثلاثين سنة، واتخـذت بمـصر البرابـى والصور، وأحكمت آلات السحر وغير ذلك.

فصل

فى المقاييس الموضوعة بمصر

لمعرفة زيادة النيل ونقصانه

قال المسعودى - رحمه الله -: سمعتُ جماعة من أهـل الجيـزة يُخبرون أن يوسف النبى - صلى الله عليه وسلم - حين بنى الأهـرام اتخـذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه[1]، وأن ذلك [يمنف][1]، وأن دلوكة العجـوز

---

[1] المقياس: هو عمود من رخام قائم في وسط بركة على شاطئ النيل بمصر، له طريـق إلى النيل يدخل الماء إذا زاد عليه وفي ذلك العمود خطـوط معروفـة عنـدهم يعرفـون

وضعت مقياساً آخر بأنصنا صغير الزراع، ووضعت مقياسا آخر أيضاً بالصعيد ببلاد إخميم، فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الإسلام، ثم ورد الإسلام فكانوا يعرفون زيادة النيل ونقصانه بما ذكرنا إلى أن وُلِّيَّ عبد العزيز ابن مروان[2] فاتخذ مقياساً بحلوان، وهو صغير الذراع، ثم اتخذ أسامة بن زيد

بوصول الماء إليها مقدار زيادته، فأقل ما يكفي أهل مصر لسنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعاً فإن زاد ستة عشر ذراعاً زرعوا بحيث يفضل عندهم قوت عام وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون إصبعاً.

قال القاضي القضاعي: وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف -عليه السلام- وبنى مقياسه بمنف، وهو أول مقياس وضع، وقيل: إنه كان يقاس بأرض علوة بالرصاصة قبل ذلك ثم لما صار الأمر إلى دلوكة العجوز التي ذكرتها في حائط العجوز بنت مقياسا بأنصنا وهو صغير ومقياسا آخر بإخميم، وقيل: إنهم كانوا يقيسون الماء قبل ذلك بالرصاصة، قال: ولم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالمه هناك باقية إلى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية إلى الآن، ثم ابتنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياساً بأسوان، ثم بني في أيام معاوية مقياس بأنصنا، ثم ابتنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان، وكانت منزله قال فأما المقياس القديم الذي بالجزيرة فالذي وضع أساسه أسامة بن زيد التنوخي وهو الذي بنى بيت المال بمصر في أيام سليمان بن عبد الملك وكان بناؤه المقياس في سنة ٧٩ قال ابن بكير أدركت المقياس يقيس الماء بمنف ويدخل زيادته كل يوم إلى الفسطاط ثم بنى بها المتوكل مقاساً في سنة ٧٤٢ وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد. معجم البلدان ج٥ ص١٧٨

١ أ . م بياض نتيجة أرضة.

[2] هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي أمير مصر، كنيته أبو الأصبغ، مولده بالمدينة، ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكانت داره بدمشق، هي الدار التي للصوفية الآن المعروفة بالسميساطية، ثم كانت لابنه عمر بن عبد العزيز بعده، وولي إمرة مصر لأبيه مروان في غرة شهر رجب سنة خمس وستين على الصلاة والخراج معا بعد ما عهد له بالخلافة بعد أخيه عبد الملك، وكان فصيحاً جواداً ذا مروءة وكرم، وهو معدود من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام. النجوم الزاهرة ج١ ص١٧٢، سير أعلام النبلاء ج٤ ص٢٤٩ ، تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٣٠٦ ، التقريب ص٤١٢١، الطبقات الكبرى ج٥ ص١٧٥ ، البداية والنهاية ج٩ ص٦٢، الأعلام ج٤ ص٢٨

التنوخى[1] مقياساً بالجزيرة، وهى التى بين الفسطاط والجيزة، وهذا المقيـــاس الذى اتخذه أسامة أكبرها ذراعاً، واتخذ ذلك فى أيام سليمان بن عبد الملـــك[2]، وهو المقياس الذى عليه العمل فى وقتنا، ومسافة ذراعه إلى أن يبلـــغ اثنـــى عشر ذراعاً وثمانية وعشرون إصبعاً، ومن اثنى عشر ذراعاً [م/١٠] إلى مـــا فوق يصير الذراع أربعة وعشرون، وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون، والعمل عليه عند كثرة الماء، وترادف الرياح واختلاف مهآبها وكثرة الموج.

فصل فى زيادة النيل

قال المسعودى: قالت العرب فى النيل: إنه إذا زاد غاضـــت ، أى نقصت.

قال الله تعالى: **{وَغِيضَ الْمَاءُ}**[3]أى نقص وذهب. وقال تعالى:**{وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ}**[4] وغاضت له العيون والآبار، وإذا غاض هو زادت هى، فزيادتها من غيضه، وغيضه من زيادتها.

---

١ اسمه أسامة بن يزيد التنوخي: متولي الخراج بمصر في سنة سبع وتسعين في خلافـــة سليمان بن عبد الملك بن مروان وأمير مصر يوم ذاك عبد الملك بن رفاعة، وهـــو بـــانى بيت المال. النجوم ج١ ص٧١

٢ سليمان بن عبد الملك: أبو أيوب كان من خيار ملوك بني أمية، ولى الخلافة بعهد مـــن أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، روى قليلاً عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة، روى عنه ابن عبد الواحد والزهري، وكان فصيحاً مفوهاً مـــؤثرا للعـــدل محبـــاً للغزو، ومولده سنة ستين، ومن محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير، فكـــان يمتثل أوامره في الخير فعزل عمال الحجاج وأخرج من كان في ســـجن العـــراق وأحيـــا الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير، قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. تـــاريخ الخلفاء ج١ ص٢٢٥، سير أعلام النبلاء ج٥ ص١١١، الأعـــلام ج٣ ص١٣٠ ، وفيـــات الأعيان ج٢ ص٤٢٠ ، الموسوع العربية الميسرة ص١٠٠١

٣ هود من الآية ٤٤

٤ الرعد من الآية ٨

قال: وقالت الهند: زيادته ونقصانه بالسيول، ونحن نقول ذلك بتوالى الأنوًا[1]وكثرة الأمطار، وركود السحاب.

وقالت الروم: لم يزد قط ولا ينقص، [أ/١٣] وإنما زيادته بريح الشمال، إذا كثرت واتصلت.

وقال القبط: زيادته من عيون فى شاطئه، يراها من سافر ولحق بأعاليه، وقد تقدَّم عن أبى قُبل أنَّ نيل مصر فى زيادته يفور كله من أوله إلى آخره.

وحكى لى بعض من أقام بالحبشة أن الغمام والمطر يستمران عندهم فى أيام زيادة النيل ليلاً ونهاراً فى أعلى النيل، وأن بعض السنين يكثر المطر جداً. وفى بعضها يقلُّ، فيعرفون كثرة النيل بمصر، وقلته بسبب ذلك.

فصل فى المكان الذى يذهب فيه ماء النيل

قال الحكماء: إنه يجرى إذا صبَّ فى بحر الملح، انتهى فيه إلى مواضع ثم يرتفع بخاراً، ويجتمع فى الجو فتحمله الغمام والريح إلى الأماكن التى يريد الله تعالى بالمطر فيها من سائر البلاد. ولهذا تجد الأماكن القريبة من البحر مطراً من غيرها. ويشاهد الغمام قريباً من بحر الملح عند دمياط وغيرها مما جاور البحر.

قالوا: وإذا وقع المطر فى البلاد اتصل بالبحر من عيون وغيرها، حتى ينتهى إلى البحر أيضاً، ثم يصير مطراً كما سبق، وهذا أشار إليه الزمخشرى[2] فى قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}[1]والمراد بالسماء الغمام،

---

١ جمع نوّة، وهى الرياح الشديدة شبيهه بالإعصار.

٢هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، الخوارزمي، الزمخشري، جار الله، أبو القاسم. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، مفسر، لُغَوِيّ، متكلم، أديب، نحوي، محدث، بياني، مشارك في عدة علوم، وكان من كبار المعتزلة. ولد سنة ٤٦٧ هـ،١٠٧٤ : ١٠٧٥ م في زمخشر من قرى خوارزم، سافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى "الجرجانية" من قرى خوارزم فتوفي سنة ٥٣٨ هـ ، ١١٤٣

والرجع المطر، قال: سُمى رجعاً على عادة العرب فى معتقـدهم أنَّ الغمـام تحمل ماء المطر من البحر، ثم يرجع إليها فهو رجع إلى الأرض بعد ما أخذ منها مرة بعد مرة [أخرى][٢].

وذكر الواحدى: أنها إنما سُميت رجعاً؛ لأنها ترجع إلـى الأرض مرة بعد أخرى، وما ذكره الحُكماء وجَّهُوْهُ بأن كل ما على الأرض من خشب وحجر ونحاس ورصاص وحيوان يصير تُراباً، ثم يعود خلقاً جديداً، وهكـذا إلى يوم القيامة.

قالوا: والفُلك دوَّار، وذكر المفسرون فى قوله تعـالى: {وَأَرْسَـلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَـازِنِينَ}[٣]إن الله تعالى يرسل الرياح فتلقح السحاب بالماء كما يلقح البقر اللبن. قال اللغويون:

: ١١٤٤ م فيها.قال فيه الذهبي : " كان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، ولـه نظم جيد.. وكان داعية إلى الاعتزال "

قال ابن حجر العسقلاني: "وقد كان الزمخشري في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصريف الكلام، وكتابه " أساس البلاغة " من أحاسن الكتب، وقد أجاد فيه، وبين الحقيقة من المجاز في الألفاظ المستعملة إفرادا وتركيبا، وكتابه " الفائق في غريب الحـديث مـن أنفس الكتب لجمعه المتفرق في مكان واحد مع حسن الاختصار وصحة النقل، وله كتاب " المفصل " في النحو مشهور، ورأيت له مصنفا في المشتبه في مجلد واحد، وفيـه فوائـد جليلة، وأما التفسير فقد أولع الناس به، وبحثوا عليه، وبينوا دسائسه، وأفردوها بالتصنيف، ومن رسخت قدمه في السنة وقرأ طرفا من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره ولم يضره مـا يخشى من دسائسه". وأشهر كتبه "الكشاف" في تفسير القرآن الكريم، و "أساس البلاغـة "، و "المفصَّل"، و"المقامات" و"الجبال والأمكنة والمياه" و"الفائق" في غريب الحديث، وغيـر ذلك. سير النبلاء ج٢٠ ص١٥١: ١٥٦. معجم المـؤلفين ج١٢ ص١٨٦: ١٨٧. الأعـلام ج٧ ص١٧٨. لسان الميزان ج٦ ص٤ غريب القرآن ص ٣٦٢ : ٣٧٨. دائرة المعـارف الإسلامية ج١٠ ص٤٠٣: ٤١٠. ياقوت الحمـوي: معجـم الأدبـاء ج٥ ص٤٨٩: ٤٩٥ وَفَيَات الأعيان ج٥ ص١٦٨: ١٧٤ الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٢٦.

[١] الطارق آية ١١

[٢] أ . ــ م

[٣] الحجر آية ٢٢

واللواقح من الرياح التى تحمل الندى، ثم يمجه فى السحاب، فإذا اجتمع فـــى السحاب صار مطراً، وقيل: إنما هى ملاقح. وأما قولهم لواقح فعلى حــرف الزوائد.

قال ابن جنى: قياس وأرسلنا الرياح لواقح ملاقح، لأن الريح يلقــح السحاب. وقد يجوز على معنى لقحت هى، فإذا ألقحت تركت ألقحت السحاب، فيكون هذا مما اكتفى بالسبب عن المسبب.

قال أهل اللغة: والريح العقيم التى لا ماء فيها، وسُمّيت عقيماً لأنها لا تلقح ولا تنتج، كالرجُل العقيم والمرأة العقيم، ويجوز أن يكون الريح عمل البخار الذى يجتمع فى الجو من البحر الملح إلى الغمام فيلقحها به، ويدل لذلك إنك تجد ماء المطر فى الغالب فيه ملوحة، وإنما مَلِحَ، لمجاورته للبحر علـــى ما سبق.

وقد شاهد فى النيل البخار فى زمن البرد تعلو من البحر إلى الجو، وتتراكم حتى تصير فى مرأى العين كالسحاب، فيجرى بـــالريح، فيجـــوز أن يكون بعض ما يُشاهد من السحاب مطر كله، وأن الله تعالى يسوق إلى حيث يشاء، ويجوز أن يكون المطر ينزل من السماء كما ينزل البرد.

قال تعالى: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ}[1]، قال ابـــن عباس – رضى الله عنهما – فى السماء جبال من برد كما فى الأرض مـــن جبال من حجر.

قال أبو الفرج بن الجوزى: والبرد يقع قطعاً كباراً وصغاراً، قـــال: ووقعت فى بعض السنين بردة عظيمة فاهتز [م/١١] لها إقليم مصر.

فائدة: قال الكواشى فى تفسيره: من الأولى لابتداء الغاية فى قولـــه تعالى: {من السماء} لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة لبيـــان الجـــنس انتهى.

ويجوز أن يكون المطر ينزل من البحر الذى مرتفع بـــين الـــسماء والأرض.

---

[1] النور من الآية ٤٣

ويقال: إنه دائماً يجرى قبل، ولولا هو لاحترقت [أ/١٤] الأرض بحمى السماء.

وذكر بعض الشيوخ فيه حكاية عجيبة فقال: إن بعض الملوك أرسل بازاً أشهباً خلف طائر، فصعد إلى الجو وجاء بعد ساعة، وفى رجله سمكة، فجمع الملك علماء مملكته واستفتاهم عن هذه السمكة، وإنه هل يجوز أكلها؟ فأفتوه كلهم بجواز أكلها، وكان هناك شاب مُشتغل بالعلم، وكان أبوه تاجراً، ينفق عليه، فضجر منه، فتركه بلا نفقة، فهاجر الشاب إلى طلب العلم، فقعد سنين[١]، ثم قدم فوجد الملك والعلماء مُجتمعين وهو[٢] يستفتيهم فى السمكة، فلما أفتوه جميعاً بجواز أكل السمكة[٣] قام الشاب من بينهم وقال: يا ملك، هذه السمكة حرام ولا يجوز أكلها، فقال: ولم؟ فقال: لا أقول حتى تجعل لى جعلاً، فجعل له عشرة آلاف دينار. فقال: اعطونى الآن منها ألفى دينار، فأعطوه ألفين، فبعث بها إلى أبيه. وقال: قولوا: إن ابنك سافر، وجاء ببضاعة، فباع منها بألفى دينار، وهى إلى الآن لم تفتح، ثم قال للملك: إن بين السماء والأرض بحر، لا يناله إلا البازات الشُهُبِ، وروى فيه حديثاً، وأن سَمَكَهُ سُمٌ [قاتل][٤]، وأنت لما أرسلت الباز وفاته[٥] الطائر خطف هذه السمكة من البحر، فأت[٦] بشخص[٧] يكون قد استوجب[٨] القتل، فأطعمها له[٩]، فأتوا بشخص عليه قتل[١٠]؛ فأطعموه منها. فمات فى ساعته. فأكملوا له[١١] العشرة آلاف، [وأكرمه

---

[١] م . أ فقام فى طلبه سنين.

[٢] م . أ والملك.

[٣] م . أ أكلها.

[٤] أ . ــ م.

[٥] م . أ وفر منه.

[٦] م . أ فانظر.

[٧] م . أ شخصاً.

[٨] م . أ استحق.

[٩] م . أ فأطعمه منها.

[١٠] م . أ فأحضر رجلاً قد استحق القتل.

[١١] م . أ فأكمل له الملك.

وعظَّمهُ][1]، ومما يذكر وهو مشهور أن المطر ربما أمطرت الضفادع فى بعض السنين، فيحتمل أن تكون هذه الضفادع من ذلك البحر، وتحمل صحة ما ذكره بعضهم أنَّ الغمام يغترف الماء من البحر، وإذا اغترفه اغترف معه الضفادع والعلم عند الله تعالى.

ومما يذكر وهو الصحيح أن الماء فى أعلى الصعيد يكون أحلى منه فى آخر النهر، سيما الذى يقرب من البحر المالح، ولمَّا ولى القاضى فخر الدين بن مسكين قضاء قوص من الصعيد، وكان قبل قاضياً بأبيار أنشد أبياتاً، منها:

والله لولا العار ما اخترتُ غير أبيار   لكنَّ الصعيد أعلى وماؤها أحلى

ومن المشاهد أيضاً أن ماء بعض الأمطار أحلى من بعض.

فصل

تقدَّم فى الحديث ذكر الأنهار الأربعة، وتقدَّم الكلام على نيل مصر، وأما الأنهار الثلاثة فذكر المسعودى أنها جيحون وسيحون والفرات، قال: فأما جيحون فهو نهر بلخ، فإنه يخرج من أعين، فيجرى حتى يأتى بلاد خوارزم، وقد اجتاز قبل ذلك بلاد الترمد، وأسفراين، وغيرها من بلاد خراسان، فإذا ورد إلى خوارزم تفرَّق فى مواضع هناك، ومضى باقيه فينصب فى البحيرة التى عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم، وليس فى ذلك الصقع[2] أكبر من هذه البُحيرة.

ويقال: إنه ليس فى العُمران بُحيرة أكبر منها؛ لأن طُولها مسيرة شهر فى نحو من ذلك من العرض، وتجرى فيه [١٥/أ] السفن إلى هذه البُحيرة، وعليها مدينة للترك يقال لها:المدينة الجديدة، فيها مسلمون، والأغلب من الترك، قال: وأما سيحون فنهر الهند، فمبدأه من جبال فى أقاصى الهند، مما يلى بلاد الصين من نحو بلاد الثغر من الترك، مقدار جريانه إلى أن يصب

[1] أ . ـــ م.

[2] م . أ السقع.

فى البحر الحبشى مما يلى ساحل الهند أربعمائة فرسخ، قال: وأمـــا الفـــرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور أرمينية من جبال هناك تُدعى أبو دخـــس على نحو يوم من قالى قلا، ومقدار جريانه فى أرض الروم إلـــى أن يـــأتى [م/١٢] بلاد ملطيَّة ويكون مقدار جريانه على وجه الأرض نحو من خمسمائة فرسخ، وقيل أكثر من ذلك. وكان الفرات الأكبر من مائة ينتهى إلـــى بـــلاد الحيرة، ونهرهن بيّن إلى هذا الوقت، وهو يعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم، وهى وقعة القادسية. فيصب فى البحر الحبـــشى، وكـــان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت، وكان يقدم هنـــاك سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة[١]، وقد ذكر أن خالـــد بـــن الوليـــد المخزومى لما أقبل يريد الحيرة فى سلطان أبى بكر بعد فتح اليمامة[٢]، وقتـــل كذاب ابن حنيفة، ورأوه أهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الأبيض، وقصر القادسية، وقصر بنى نفيلة، وهذه الأسماء لقصور كانت بالحيرة، وهـــى الآن خراب لا إنس فيها، وبينها وبين الكوفة ثلاثة أميال، فلمَّا نظر خالد بن الوليد إلى أهل الحيرة قد تحصَّنوا منه أمر العسكر فنزل نحو النجف وأقبـــل خالـــد على فرسه ومعه ضرار بن الأزور الأسدى[٣]، وكان من فـــوارس العـــرب،

---

١ الحيرة: بالكسر ثم السكون، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقـــال له: النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به وبالحيرة الخورنق بقرب منها ممـــا يلـــي الشرق على نحو ميل ... كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم مـــن لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاري قياس كما نسبوا إلى النمر نمري ...وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة معجم البلدان ج٢ ص٣٢٨

٢ اليمامة: في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب إحدى وســـبعون درجـــة وخمـــس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفـــي كتاب العزيزي إنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- سنة ٢١ للهجرة، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا. معجم البلدان ج١ ص٤٤٢

٣ ضرار بن الأزور بن مالك بن أوس بن خزيمة الأسدي، أحد الأبطـــال فـــي الجاهليـــة والإسلام، وكان شاعراً مطبوعاً، قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليـــد. تـــوفي عـــام ١١هـــ= ٦٣٣م.

فوقفنا بحيال قصر بنى نفيلة، فجعل العباديون يرمونها بالخزف، فصار فرسه ينفر، فقال له ضرار: أصلحك الله ليست لهم مكيدة أعظم مما ترى، فمضى خالد فنزل فى معسكره وبعث إليهم أن يرسلوا له رجلاً من عُقلائهم وذوى أنسابهم، يسأله عن أمرهم فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى[1]، وهو الذى بنى القصر الأبيض، فأتى خالد وله يومئذ ثلاثمائة وخمسون سنة، فأقبل يمشى، فنظر إليه خالد مقبلاً. فقال: من أين أقصى أثرك أيها الشيخ؟ قال: من صلب أبى، قال: فمن أين جئت؟ قال: من بطن أمى، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض. قال: فيم أنت لا كنت؟ قال: فى ثيابى. قال: أتعقل لا عقلت؟ قال: إى والله وأقيد. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد. قال: اللهم أخزهم من أهل بلدة. فما يزيدوننا إلا عمى. أسأله عن الشىء فيجيب عن غيره. قال: لا والله، لا أجيبك إلا بما سألتنى، قال: أعرب أنتم أم نبط؟ قال: عرب استنبطنا، ونبط استعربنا. قال: أحرب أنتم أم سلم، قال: بل سلم، قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه؛ نحبسه حتى يأتى الحكيم فينهاه. قال: كم أنت لك؟ قال: خمسون وثلاثمائة سنة. قال: فما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ترقى إلينا فى هذه اللخف بأمتعة السند والهند وأمواج البحر تقرب ماء [أ/١٦] تحت قدميك، وانظر كم بينهما اليوم وبين البحر، ورأيت المرأة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تزود إلا برغيفاً واحداً، فلا تزال فى قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة، وأنهار جارية وغدران[2] غرقة حتى ترد الشام، وتراها اليوم قد أصبحت خراباً نبابا، وذلك دأب[3] الله [تعالى][4] فى البلاد والعباد، فوجم خالد ومن حضره لما سمعوا منه وعرفوه، وكان مشهوراً فى العرب بطول العُمر وكِبر السن وصحة العقل، قال: ومعه سمُ ساعة يقلِّبُهُ فى يده، فقال له خالد: ما هذا [الذى]

---

[1] معمر، من الدهاة ، يقال أنه باني قصر الحيرة، مات على النصرانية، اجتمع به خالد في الحيرة، وهو ابن أخت سطيح الكاهن .توفي عام ١٢هـ= ٦٣٣م.

٢ م . أ أنهار.

٣ م . أ صُنع .

٤ أ . ـــ م .

معك؟ قال: سم ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أتيتك، فإن يكن عنـدك مـا يسرني ويوافق أهل بلدى قبلتهُ وحمدت الله [تعالى][1] عليه، وإن تكن الأخرى، لم أكن أول من ساق إلى أهل بلده حُزناً وويلاً؛ فآكل هذا السم واستريح مـن الدنيا، فإنما بقى من عمرى إلا اليسير. قال له خالد: هاته، فأخذه فوضعه فى راحته ثم قال: بسم الله وبالله، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء [فى الأرض ولا فى السماء][2]، ثم اقتحمه، فتخللته غشية، وضرب بذقنه صدره ساعة ثم سرى عنه وأفاق، كأنما أنـشِطَ مـن عِقـال فانصرف العبادى إلى قومه، وكان عبادى المذهب، وهـم النـسطورية مـن النصارى[3].فقال: يا قوم، قد جئتكم من عند شيطان [مُجسَّم][4]؛ أكل سم سـاعة فلم يضره، [فصالحوه وأخرجوه عنكم؛ فـامتثلوا أمـره][5] فـصالحوا خالـد – رضى الله عنه – على مائة ألف درهم وسباح وهو الطيلسان؛ فرحل عنهم.

قال المسعودى: وإنما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار، وتغلغل الخلجان والأنهار على مرور الدهور [م/١٣] والأعصار.

قال: وأما الدجلة فإنه يخرج من بلاد آمد من ديار بكر، وهى أعين بلاد خالد بن أرمينية، وتصب إليها أنهار سويط وسانيد وما يخرج من بـلاد أردن ومبافارقنى ونميرد وغيرها من الأنهار. وإذا خرجت الدجلة من نهـر واسط تفرقت فى أنهار هناك أحده إلى بطحة البصرة، ومقدار جريان دجلـة على وجه الأرض ثلاثمائة فرسخ، وقيل أربعمائة.

هذا كلام المسعودى، وقد التبس عليه الأمر؛ ففسر نهـر سـيحون سيحان، وجيحون جيحان، وقد أوضه ذلك النووى فى شرح مسلم، فقال: قوله – صلى الله عليه وسلم – سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة.

---

[1] أ. ــ م.

[2] أ. ــ م.

[3] النسطورية: منسوبون إلى نسطور الإسكندرأنى، يقول: عيسى كلمة الله وروحه حلـت فى مريم بطبيعة لاهوتية، ويقولون: إنه ليس بجسم، وفى عيسى روحان؛ قديم وحديث.

[4] أ. ــ م.

[5] أ. ــ م.

اعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، وأما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما من بلاد الأرمن، فجيحان نهر المصيصة، وسيحان نهر أدنة وهما نهران عظيمان جداً، أكبرهما جيحان، فهذا هو الصواب فى وضعهما[1].

وأما قول الجوهرى فى صحاحه[2]: نهر سيحان نهر الشام فغلط، أو أنه أراد المجاز من حيث أنه ببلاد الأرمن، وهى مجاورة الشام.

قال الجارى: سيحان نهر عند المصيصة، قال: وهو غير سيحون.

وقال صاحب نهاية الغريب: سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا كلهم على أن جيحون بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ، واتفقوا أنه غير جيحان وكذلك سيحون غير سيحان.

وأما قول القاضى عياض: إنَّ النيل بمصر والفرات بالعراق وسيحان وجيحان، ويقال: سيحون وجيحون ببلاد خراسان ففى كلامه إنكار من أوجه.

أحدهما:- قوله: الفرات [١٧/أ] بالعراق وليست العراق، بل هى فاصلة بين الشام والجزيرة.

---

١ شرح النووى علم مسلم ج١٧ ص١٧٦

٢ إسماعيل بن حماد، الجَوْهَرِيّ، أبو نصر أول من حاول "الطيران" ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه "الصحاح"، وله كتاب في العروض" ومقدمة في النحو. يقال إنه ولد سنة ٣٣٢ هـ ، وأصله من "فاراب" ، دخل العراق صغيراً، وأخذ اللغة والنحو عن أبي علي الفارسي، و أبي سعيد السيرافي، و عن خالة أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي - وهو غير الفيلسوف الأشهر أبي نصر الفارابي - وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى "خراسان"، ثم أقام في نَيْسابور، وصنع جناحين من خشب، وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: "لقد صنعتُ ما لم أُسبق إليه، وسأطير الساعة". فازدحم أهلُ نيسابور ينظرون إليه فتأبط الجناحين ونهض بهما فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلا . وكان ذلك سنة ٣٩٣ هـ ، ١٠٠٣ م. الزركلي: الأعلام ج١ ص٣١٣ .

والثانية، قوله: سيحان وجيحان، ويقال: سيحون وجيحون، فجعل الأسماء مترادفة، وليس كذلك بل سيحان غير سيحون، وجيحان غير جيحون باتفاق الناس.

الثالث، قوله: إنه ببلاد خراسان، وأما سيحان وجيحان فببلاد الأرمن، بقرب الشام والله أعلم.

فصل فى الفرق بين البحر والنهر

قال الزهرى فى التهذيب: سُمىَّ البحر بحراً لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته، وقيل: لأنه يشق الأرض شقاً، وجعل ذلك الشق لمائه قراراً.

وقال فى الصحاح: سُمىَّ بحراً لعمقه واتساعه، ويقال: استبحر فى العلم، وتبحر فى المال إذا كثر ماله، والبحر الشق فى كلام العرب، ومنه قيل للناقة التى كانوا يشقون أذنها بحيرة.

قال الزجَّاج[1]: كل نهر ذى ماء فهو بحر، قال بعضهم: بشرط أن يكون جارياً كدجلة والفرات والنيل وشبهها من الأنهار الكبار، فهو بحر، وأما البحر الكبير الذى هو مُفيض للمياه فلا يكون ماؤه إلا مِلحاً أجاجاً، ولا يكون ماؤه إلا راكداً، وأما الأنهار فماؤها جارٍ، ويقال للبحر الصغير: بُحيرة.

---

[1] هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق ، الزجَّاج .عالم بالنحو واللغة ، ولد سنة ٢٤١ هـ، ٨٥٥ : ٨٥٦ م، ومات سنة ٣١١ هـ ، ٩٢٣ : ٩٢٤ م في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج فلقب بالزجاج.وكان الزجاج أهل فضل ودين، حسن العقيدة ، أديبا حسن الأسلوب، عالما بالأدب وأهله ، غير أنه كان محبا للمال وجمعه .وقد بلغ الزجاج في العلم درجة كبيرة ، فقد لازم المبرد معظم أيام حياته، وطبقت شهرته الآفاق عندما أملى كتابه"معاني القرآن" حتى عرف بـ "صاحب كتاب معاني القرآن" .وكان الزجاج حسن الاعتقاد، حتى جاءت الأخبار بأن آخر ما سمع منه: "اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل" .وقد خلف من الكتب: "معاني القرآن" ، و "الاشتقاق" ، و "خلق الإنسان" ، و "الأمالي" ، و "فعلت وأفعلت" ، و "إعراب القرآن" ، و "المثلث" ، وغير ذلك. معجم الأدباء ج١ ص٨٢ : ٩٥ .غريب القرآن ص ٢١٨ : ٢٢٠ .الأعلام ج١ ص٤٠.

وأما بُحيرة طبرية فإنه عظيم؛ نحو عشرة أميال فى ستة، ويقع البحر على الرجل [الكبير][1] الكثير المعروف، وفرس بحر، جواد كثير العَدْو على التشبيه بالبحر.

والبحر الريف، وبه فسر أبو على: "ظهر الفساد فى البر والبحر" لأن الذى هو الماء لا يظهر فيه صلاح ولا فساد، وأما البحر المسجور قيل معناه المملوء؛ يقال: سجرت الإناء إذا ملأته.

قال على – رضى الله عنه – : هو بحر تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان، مطر العباد بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً؛ فينبتون فى قبورهم ويحيون.

وقيل المسحور الموقد لأنه يروى أن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً، فتزاد فى جهنم، قال الله تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}[2]

وأما نهر الحيوان فهو نهر فى السماء الرابعة، روى أبو هريرة – رضى الله عنه – أنَّ النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: "**البيت المعمور فى السماء الدنيا، وفى السماء الرابعة نهر يقال له: الحيوان، يدخله جبريل كل يوم طلعت عليه الشمس**[3]**، فإذا خرج انتفض انتفاضة خرَّت منه سبعون ألف قطرة، يخلق الله – عز وجل – من كل قطرة** [م/١٤] **ملكاً؛ يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور؛ يصلون فيه، فيفعلون. ثم لا يعدون إليه أبدا**"[4]، ذكره الواحدى فى تفسيره.

فائدة: المياه التى تنزل من السماء ثلاثة:–

ماء الثلج، وماء المطر، وماء البرد. والثلج غير الجمد فاعلمه؛ فإنه يلتبس على كثير من الناس ولا يفرقون بين الثلج والجمد، والفرق بينهما أنَّ الجمد

---

١ أ . ـ م .

٢ التكوير ٦

٣ م . أ عند طلوع الشمس .

٤ المستدرك على الصحيحين ٣٧٤٢، مجمع الزوائد ج٧ ص١١٣، مسند أحمد ١٢٥٨٠، مسند عبد بن حميد ١٢١٠، المعجم الكبير ١٢١٨٥، شعب الإيمان ٣٩٩٣، الفردوس بمأثور الخطاب ٢٢٢٦

يكون ماء مستقراً بالأرض، ثم يجمد من شدة البرد، وأما الثلج فهو نداوة تنزل من السماء وتتجمد ما يقع عليه من الأرض.

وقد ذكر القاضى مسألة يفارق فيها حكم الجمد فقال: إذا أخذ قطعة جمد، فوُجد فيها بعرة من داخلها، نظر. أن كان الماء الذى جمد وفيه هذه البعرة قلتين أو أكثر، وقلنا لا يجب التباعد عن النجاسة بقدر قلتين، فإن [كانت][1] البعرة تُفور وتُلقى وما حولها فالباقى طاهر [طهور][2]، وإن كان الماء الذى جمد وفيه البعرة دون القلتين فجميع الجمد نجس.

قال: وإن وُجدت البعرة بقطعة ثلج أُلقيت وما حولها فالباقى طاهر، ووجه ما قاله فى الثلج أن الثلج إذا نزل على البعرة جمد عليها، وجموده يمنع سريان نجاستها إلى غير المجاور لها كالفأرة تموت فى السمن الجامد، فرع يخرج على هذا الأصل، الماء الذى ينعقد جوهره ملحاً، والماء الذى ينعقد نطروناً، الصحيح إنه يجوز الطهارة به قبل انعقاده إذا أذيب بماء طهور، فلعل هذا الوجه وهذا الماء، ورأينا فى الملح الذى [١٨/أ] انعقد منه بعرة، ففيه التفصيل السابق فى الجمد، وإن قلنا إنه طاهر لا طهور، فجميعه نجس؛ لأنه لا حكم المائع، والمائع لو امتد قلالاً ووقعت فيه نجاسة تنجس كله.

فصل

وأما الماء الذى نبع من الأرض فهو ستة:-

ماء الآبار، وماء الأنهار، وماء العيون، وماء البحر، والماء الذى ينعقد ملحاً، والماء الذى ينعقد نطروناً، والماء المتقاطر من بخار الماء، وماء الآبار، منها ما هو حديدى، ومنها ما هو نحاس تتكلم عليها الأطباء، فحاصله أن المياه النازلة من السماء والنابعة من الأرض عشرة، كلها يجوز بها الطهارة بلا خلاف، وإلا الماء الذى ينعقد ملحاً أو نطروناً. فإن فيه الخلاف، والمذهب جواز الطهارة به، وإلا الماء المتقاطر من بخار الماء، فإن فيه وجهان:-

---

[1] أ. ـــ م.

[2] أ. ـــ م.

الأصح، جواز الطهارة به، وإذا انضم إلى هذا الماء النابع من أصابعه – صلى الله عليه وسلم – صارت أحد عشرة.

واختلفوا في المياه التي في الأرض، هل أصلها من السماء أم خلقها الله تعالى من الأرضين على قولين:–

أحدهما:–

إن الجميع من السماء؛ لقوله تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ**}[1]

والثاني:–

أنَّ الله خلقه في الأرض كما خلق ماء السماء فيها؛ لقوله تعالى:{**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا**}[2]، وبعد هنا بمعنى قبل ذلك دحاها، إذا كانت الأرض مخلوقة قبل السماء، وقد أخبر الله تعالى أنه أخرج منها ماءها ومرعاها، فتعين أن يكون الماء مخلوقاً فيها، ومما يدل على أن الأرض مخلوقة قبل السماء؛ لقوله تعالى:{**قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ*وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**}[3]، ثم قال تعالى:{**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ*فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**}[4]وثم للترتيب .

[وقال بعضهم: خلق الله – تعالى – الأرض أولاً، ثم خلق السماء، ثم دحى الأرض بعد أن خلق السماء.

---

[1] الزمر من الآية ٢١

[2] النازعات آيات ٣٠،٣١

[3] فصلت آية ٩،١٠

[4] فصلت آية ١١،١٢

وقيل: خلق الله تعالى زُمردة خضراء، كغلظ السموات والأرض، ثم نظر إليها نظرة العظمة فانماعت[1] فصارت ماء، فمن ثم ترى الماء دائماً يتحرك من تلك الهيبة، ثم إن الله – تعالى – رفع من البحر بُخاراً، وهو الدخان الذى ذكره.

وفى قوله: ثم استوى إلى السماء وهى دخان فخلق السماء من الدخان، وخلق الأرض من الماء، والجبال من موج الماء][2].

فصل

لا كراهة فى استعمال شىء من المياه عندنا من الطهارة وغيرها إلا فى ستة:-

أحدها:- الماء المُشمس، ثانيها وثالثها الماء الشديد الحرارة وشديد البرودة، ورابعها ماء ديار ثمود، ويكره استعمالها إلا بئر الناقة؛ لأن النبى -صلى الله عليه وسلم- [م/١٥] نهى عنه، وأمر بأن تُكفا القدور، ويُطرح العجين الذى عُجن منه.

وديارهم فى طريق الشام من مكة.

خامسها: ديار[3] قوم لوط، قال الله تعالى: **{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ*وَبِاللَّيْلِ}**[4] رُوى أنَّ جبريل – عليه السلام – أدخل جناحه تحت مدائنهم فاقتلعها من الأرض، ورفعها بجناحه إلى السماء، ثم قلبها بهم فاتُبِعوا بالحجارة.

قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}[5]

قيل: كان مكتوب على كل حجر اسم صاحبهُ، وكان شخص منهم بالحرم، فوقف الحجر بين السماء والأرض حتى خرج من [أ/١٩] الحرم فوقع

---

١ ذابت

٢ أ . ـــ م .

٣ م . أ ديار .

٤ الصافات آية ١٣٧، ١٣٨

٥ هود آية ٨٢

عليه فمات، ولمَّا خسف بقُراهم بقى موضعها بِركة عظيمة، ماؤها مُنْتِن، وهى باقية إلى هذا اليوم فى طريق الشام.

قال عز وجل: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ}[1] يعنى طريق.

سادسها بئر برهوت. رُوى أنه – صلى الله عليه وسلم– قال: "**خير بئر فى الأرض بئر زمزم، وشر بئر فى الأرض بئر برهوت؛ فيها أرواح الكفار**"[2]، فإذا كانت شر بئر فى الأرض كره استعمالها. وبالقياس على ديار ثمود ولوط عليه السلام لأن أرواح الكفار تُعذب حيث كانت، وإنما تعذب للغضب عليهم، فالتحق بمكان تعذيب أرواحهم، فكان تعذيب أجسادهم.

وبرهوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة وبالتاء المثناه فوق بآخره.

بئر بحضر موت، وقد ذكرها فى الصحاح، وذكر الحديث إلا أنه لم يُعين مكانها.

واختلفوا فى استعمال ماء زمزم؛ فمذهبنا إنه لا يُكره استعماله فى شيء من الطهارات كسائر المياه، لأنه – صلى الله عليه وسلم – توضأ منه، لكن قال أبو الفتوح العجلى فى نكت الوسيط والوجيز: الأولى أن لا يتطهر به لحرمته وكرامته.

وقد رُوى عن العباس[3] – رضى الله عنه – أنه قال: لا أحله لمغتسل، وهو لشارب الخمر حِلٌ وبِلُ، والبِلُ – بكسر الباء الموحدة وباللام – الشفاء، أى هو حلال وشفاء للشارب من مرضه إذا شفى.

---

١ الحجر ٧٦

٢ مصنف عبد الرازق ٩١١٨، المعجم الوسيط ٣٩١٢، ٨١٢٩. المعجم الكبير ١١١٦٧، الترغيب والترهيب١٨١٣، الفردوس بمأثور الخطاب ١٦٩٤، ٣٦٠٩.

٣العباس: عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قيل: إنه أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وخرج مع قومه إلى بدر فأسر يومئذ فادعى أنه مسلم فالله أعلم، وليس هو فى عداد الطلقاء فإنه كان قد قدم إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل الفتح ألا تراه أجار أبا

وكان ابن عباس[1] - رضى الله عنهما - إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء.

وقال - صلى الله عليه وسلم- "ماء زمزم طعام طعم، وشفاء سقم". وأما استعماله فى إزالة النجاسة والاستنجاء فنُقل فى الكفاية عن الماوردى أنه لا يجوز استعماله ولا استعمال حجارة الحرم فى الاستنجاء، والصحيح خلاف ذلك.

وذهب أبو حنيفة إلى إنه لا يجوز استعماله فى الطهارة مُطلقاً، دليلنا عموم الأدلة، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم- توضأ منه، وكأنه يؤدى إلى جواز التيمم مع وجود الماء؛ لأن حرمة ماء زمزم وإن كانت لأجل حرمته لكونه طقام وسقا فالماء الذى نبع من أصابع النبى - صلى الله عليه وسلم - أفضل من ماء زمزم وفيه من الشفاء ما ليس فى ماء زمزم، ومع ذلك فقد توضأت به الصحابة - رضى الله عنهم-، ولا حجة فى قول العباس - رضى الله عنه - لا أحله؛ لأنه محمول على حالة احتياج الناس إلى الشرب بقوله: لا أحله لمغتسل، أى فى حالة الاحتياج إلى الشرب؛ لأن الغالب التزاحم على الشرب، واختلفوا فى الماء الذى يوجد وقت السحر على الزرع. فقيل: لا يجوز به الطهارة، لأنه ليس من جنس المياه، بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر، فهو ليس من جنس المياه، بل هو مُلحق بالعرق، حكاه صاحب كتاب "الملتقطات" من الحنفية[2]، ويشهد لهذا القول [أ/٢٠] أن المحربين

سفيان بن حرب وله عدة أحاديث منها خمسة وثلاثون في مسند بقي وفي البخاري ومسلم حديث وفي البخاري حديث وفي مسلم ثلاثة أحاديث. سير أعلام النبلاء ج٢ ص٧٨

١ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكي ابن عم رسول الله كني بابنه العباس وهو أكبر أولاده. تهذيب الأسماء ج١ ص٢٥٨

٢ الملتقطات في المسائل الواقعات: للشيخ الإمام حسام النظر أبي المعالي مسعود بن شجاع بن محمد الأموي الحنفي المتوفى سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة، قال هو مختصر جامع لمسائل متفرقة في الكتب تمس الحاجة إلى الوقوف وعليها الرجوع إليها لكثرة وجودها وسرعة وقوعها. كشف الظنون ج٢ ص١٨١٤

ذكروا أنَّ هذا الماء إذا جُمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة قد فرغ ما فيها وضممت بشمعة ونحوها ووضعت فى الحمام فإذا أحست بالحرارة صعدت إلى السماء بنفسها، فهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه، وإنما [م/١٦] طبعها الانخفاض، ويشهد له أيضاً أنَّ هذا ليس بماء الملح ولا برد ولا مطر، والله أعلم.

قال صاحب الملتقطات: ومنهم من جوَّز الطهارة به؛ لأنه ماء، ولأنه لم يحقق مجيئه من نفس تلك الدابة، وأما بحر الملح فيجوز منه الطهارة بلا كراهة. لقوله – صلى الله عليه وسلم–: "هو الطهور ماؤه، الحِل ميتته". وهذا مذهبنا.

ونقل البغوى فى سورة التكوير، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو أنهما قالا: لا تجوز الطهارة بماء البحر؛ لأنه غطاء جهنم، وقال ذلك أيضاً الدارامى فى الاستذكار عنهما وعن سعيد بن المسيب. أنه لا يجوز الوضوء بماء البحر.

قال: وعن قوم أنهم قدموا التيمم عليه، وخيروا بينهما. وعن قوم: إنه يُتوضأ به عند عدم غيره.

ومما يدلُ على أن البحر غطاء جهنم قوله تعالى: {**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً**}[1]؛ لأن الفاء تدلُّ على الفورية. فاقتضى ذلك دخول النار، استعقب الغرق.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: إن تحت البحر لناراً، وإن تحت النار لبحر......الحديث[2]. **هذا آخر ما كتبه عفى الله عنه ونفع ببركته ووافق الفراغ من تعليقه فى العشر الأول من رمضان المعظم.**

[1] نوح من الآية ٢٥

٢ المستدرك على الصحيحين ٨٧٦٢، سنن البيهقى الكبرى ١٠٨٦١، ٨٤٤٥. سنن أبى داود ٢٤٨٩، السنن ٢٣٩٣. مصنف ابن أبى شيبة ١٣٩٤. الفردوس بمأثور الخطاب ٧٧١١.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الحبيب الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، تم الكتاب والحمد لله الحميد الفعال.

الفهارس

الفهارس

(١) فهرس الآيات القرآنية
حسب ترتيب المصحف

الآية	اسم السورة ورقم الآيــة	رقــم والصفحة
١-{ وَغِيضَ الْمَاءُ }	(هود١١: من الآية٤٤)	١٠ : ٤٥
٢-{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}	(هود :٨٢)	١٥: ٦٨
٣-{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}	(يوسف١٢: من الآية١٠٠)	١٦ : ٣٩
٤-{وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}	(الرعد١٣: من الآية٨)	١١ : ٥٤
٥-{طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}	(الرعد: من الآية٢٩)	٣ : ٣٠

٦-{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}

(الحجر١٥ :٢٢) ٥٦ : ٩

٧-{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ}

(الحجر :٧٦) ٦٨ : ٢١

٨-{ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}

(مريم١٩: من الآية٢٤) ٣٤ : ١٤

٩-{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}

(مريم :٢٥) ٤٠ : ٨

١٠-{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}

(المؤمنون ٢٣ :٥٠) ٤١ : ٣

١١-{ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}

(المؤمنون: من الآية١٠٠) ٣٢ : ١٣

١٢-{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}

(النور ٢٤ :٤٣) ٥٧ : ١٠

١٣-{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً}

(الفرقان ٢٥ :٥٣) ٣٢ : ٣

١٤-{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً}

(الفرقان:٥٣) ٣٢ : ٣

١٥-{طسم}

(الشعراء ٢٦ :١) ٣١ : ٣

١٦-{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}

(الشعراء:٥٧) ٣٤ : ١٣

١٧-{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}

(القصص ٢٨ :٧) ٣٥ : ٩

١٨-{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

(فاطر ٣٥ :١٢) ٣ : ١١

١٩-{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ}

(الصافات ٣٧ :١٣٧) ٦٨ : ١٢

٢٠-{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

(الزمر ٣٩ :٢١) ٦٧ : ٤

٢١-{قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

(فصلت ٤١ :٩) ٦٧ : ١٥

٢٢-{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}

(فصلت:١١) ٦٧ : ١٣

٢٣-{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ}

(الزخرف ٤٣ :٥١) ٣٤ : ٨

٢٤-{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}

(محمد ٤٧ :١٥) ٢٨ : ٢

٢٥-{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ}

(الرحمن ٥٥ :١٩) ٣٣ : ٢

٢٦-{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}

(الرحمن:٢٢) ٣٣ : ٦

٢٧-{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}

(الرحمن:٤٨) ٣٣ : ١٢

٢٨-{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً}

(نوح ٧١ :٢٥) ٧١ : ١٤

٢٨-{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا*أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}

(النازعـــات ٧٩/ ٣٠ :٣١) ٦٧ : ٧

٢٩-{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}

(التكوير ٨١ :٦) ٦٥ : ٨

٣٠-{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}

(الطارق ٨٦ :١١) ٥٥ : ١٦

٣١-{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ}

(الفجر ٨٩ :٥) ٣٣ : ١

(٢) فهرس الأحاديث القدسية والنبوية

الحيوان، يدخله جبريل كل يوم طلعت عليه الشمس، فإذا خرج انتفض انتفاضة خرَّت منه سبعون ألف قطرة، يخلق الله – عز وجل – من كل قطرة ملكاً؛ يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور؛ يصلون فيه، فيفعلون. ثم لا يعدون إليه أبدا"

٦٥ : ١٠٩

"خير بئر فى الأرض بئر زمزم، وشر بئر فى الأرض بئر برهوت؛ فيها أرواح الكفار"

٦٩ : ٢

١٠-"ماء زمزم طعام طعم، وشفاء سقم"

٧٠ : ١

١١ - إن تحت البحر لناراً، وإن تحت النار لبحر......الحديث

٧١ : ١٦

(٣) فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الألف

١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم :: اسم المؤلف :: صديق بن حسن القنوجي .ولادة المؤلف :: ١٢٤٨ وفاة المؤلف :: ١٣٠٧ دار النشر :: دار الكتب العلمية مدينة النشر :: بيروت سنة النشر :: ١٩٧٨ عدد الأجزاء :: اسم المحقق :: عبد الجبار زكار.

٢- أسد الغابة :: اسم المؤلف :: ابن الأثير :: دار النشر :: مؤسسة دار الشعب

٣- الأعلام:: خير الدين الزركلى

٤- أعلام الفكر والأدب ::اسم المؤلف :: جورج مدبك :: دار النشر ::دار الراتب الجامعية

٥- الإصابة في تمييز الصحابة اسم المؤلف :: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ولادة المؤلف :: ٧٧٣ وفاة المؤلف :: ٨٥٢ دار النشر :: دار الجيل . مدينة النشر :: بيروت سنة النشر :: ١٤١٢ – ١٩٩٢ رقم الطبعة :: الأولى عدد الأجزاء :: ٨ اسم المحقق :: علي محمد البجاوي.

٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب اسم المؤلف :: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر .وفاة المؤلف :: ٤٦٣. دار النشر :: دار الجيل . مدينة النشر :: بيروت. سنة النشر :: ١٤١٢ .رقم الطبعة :: الأولى .عدد الأجزاء :: ٤. اسم المحقق :: علي محمد البجاوي.

٧- إيضاح المكنون فى الزيل على كشف الظنون :: اسم المؤلف إسماعيل باشا

الباء

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع::اسم المؤلف :: محمد بن علي الشوكاني ::وفاة المؤلف :: ١٢٥٠::دار النشر :: دار المعرفة::مدينة النشر :: بيروت ::عدد الأجزاء :: ٢

٩- البداية والنهاية::اسم المؤلف :: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء::وفاة المؤلف :: ٧٧٤:: دار النشر :: مكتبة المعارف::مدينة النشر :: بيروت::عدد الأجزاء :: ١٤

التاء

١٠-تاريخ الأدب العربى :: عمر فروخ

١١-تاريخ الأدب العربى :: كارل بروكلمان

١٢- تاريخ الخلفاء::اسم المؤلف :: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي::ولادة المؤلف :: ٠::وفاة المؤلف :: ٩١١::دار النشر :: مطبعة السعادة::مدينة النشر :: مصر:: سنة النشر :: ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٠::اسم المحقق :: محمد محي الدين عبد الحميد

١٣- تاريخ بغداد :: اسم المؤلف :: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي. ولادة المؤلف :: ٣٩٣ وفاة المؤلف :: ٤٦٣ : دار النشر :: دار الكتب العلمية :: مدينة النشر :: بيروت ::سنة النشر :: - :: عدد الأجزاء :: ١٤

١٤- تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان) اسم المؤلف :: محمد بن طاهر بن القيسراني:: ولادة المؤلف :: ٤٤٨:: وفاة المؤلف :: ٥٠٧:: دار النشر :: دار الصميعي :: مدينة النشر :: الرياض :: سنة النشر :: ١٤١٥:: رقم الطبعة :: الأولى:: عدد الأجزاء :: ٤ :: اسم المحقق :: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي.

١٥-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ::اسم المؤلف :: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد

ولادة المؤلف :: ٥٨١::وفاة المؤلف :: ٦٥٦::دار النشر :: دار الكتب العلمية::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤١٧::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٤::اسم المحقق :: إبراهيم شمس الدين.

١٦-التوقيف على مهمات التعاريف:: اسم المؤلف :: محمد عبد الرؤوف المناوي:: ولادة المؤلف :: ٩٥٢

وفاة المؤلف :: ١٠٣١::دار النشر :: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر::مدينة النشر :: بيروت ، دمشق:: سنة النشر :: ١٤١٠::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١::اسم المحقق :: د. محمد رضوان الداية.

١٧ – تفسير البغوى المسمى :: معالم التنزيل::اسم المؤلف :: الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد ::وفاة المؤلف :: ٥١٦::دار النشر :: دار المعرفة::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٧ – ١٩٨٧::رقم الطبعة :: الثانية::عدد الأجزاء :: ٤::اسم المحقق :: خالد العك – مروان سوار

١٨- تقريب التهذيب::اسم المؤلف :: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي::ولادة المؤلف :: ٧٧٣::وفاة المؤلف :: ٨٥٢::دار النشر :: دار الرشيد::مدينة النشر :: سوريا::سنة النشر :: ١٤٠٦ – ١٩٨٦::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١::اسم المحقق :: محمد عوامة

١٩ – تهذيب الكمال::اسم المؤلف :: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي::ولادة المؤلف :: ٦٥٤::وفاة المؤلف :: ٧٤٢::دار النشر :: مؤسسة الرسالة::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٠ – ١٩٨٠::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٣٥::اسم المحقق :: د. بشار عواد معروف.

٢٠ – تهذيب الأسماء واللغات ::اسم المؤلف :: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام::دار النشر :: دار الفكر ::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٩٩٦::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١

الثاء

٢١ – الثقات ::اسم المؤلف :: محمد بن حبان بن أحمد أبو حـــاتم التميمـــي البستي::ولادة المؤلف :: ٠::وفـــاة المؤلـــف :: ٣٥٤::دار النـــشر :: دار الفكر::سنة النشر :: ١٣٩٥ – ١٩٧٥::رقم الطبعة :: الأولى
عدد الأجزاء :: ٩::اسم المحقق :: السيد شرف الدين أحمد

الحاء

٢٢- حسن المحاضرة::اسم المؤلف جلال الدين السيوطى

الدال

٢٣-دائرة معارف الشعب:: اسم المؤلف :: الأعلمى

٢٤- دائرة المعارف الإسلامية :: مجموعة من المستشرقين.

السين

٢٥ – سنن البيهقي الكبرى::اسم المؤلف :: أحمد بن الحسين بن علـــي بـــن موسى أبو بكر البيهقي::ولادة المؤلف :: ٣٨٤::وفاة المؤلف :: ٤٥٨::دار النشر :: مكتبة دار الباز::مدينة النشر :: مكة المكرمة::سنة النشر :: ١٤١٤ – ١٩٩٤::عدد الأجزاء :: ١٠::اسم المحقق :: محمد عبد القادر عطا.

٢٦- سنن أبي داود :: اسم المؤلف :: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي:: ولادة المؤلف :: ٢٠٢:: وفاة المؤلف :: ٢٧٥ :: دار النشر :: دار الفكر:: سنة النشر :: – ::عدد الأجزاء :: ٤ ::اسم المحقق :: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٧ – سنن الدارقطني :: اسم المؤلف :: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ::ولادة المؤلف :: ٣٠٦ ::وفاة المؤلف :: ٣٨٥::دار النشر :: دار المعرفة::مدينة النشر :: بيروت::ســـنة النـــشر :: ١٣٨٦ – ١٩٦٦::عـــدد الأجزاء :: ٤::اسم المحقق :: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٢٨- سير ملهمة من الشرق والغرب:: اسم المؤلف:: إسماعيل مظهر .
٢٩- سيدات بيت النبوة :: اسم المؤلف :: عائشة عبد الرحمن .
٣٠ – سير أعلام النبلاء :: اسم الكتاب :: سير أعلام النبلاء :: اسم المؤلف :: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله :: ولادة المؤلف :: ٦٧٣::وفاة المؤلف :: ٧٤٨ ::دار النشر :: مؤسسة الرسالة
مدينة النشر :: بيروت ::سنة النشر :: ١٤١٣ ::رقم الطبعة :: التاسعة::عدد الأجزاء :: ٢٣::اسم المحقق :: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

الشين

٣١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (الكتاب مدقق مرة واحدة) ::اسم المؤلف :: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي::ولادة المؤلف :: ١٠٣٢::وفاة المؤلف :: ١٠٨٩::دار النشر :: دار الكتب العلمية ::مدينة النشر :: بيروت::عدد الأجزاء :: ٤
٣٢- شرح النووى على صحيح مسلم ::اسم المؤلف :: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي::ولادة المؤلف :: ٦٣١::وفاة المؤلف :: ٦٧٦::دار النشر :: دار إحياء التراث العربي::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٣٩٢::رقم الطبعة :: الطبعة الثانية::عدد الأجزاء :: ١٨.
٣٣- شعب الإيمان::اسم المؤلف :: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي::ولادة المؤلف :: ٣٨٤::وفاة المؤلف :: ٤٥٨::دار النشر :: دار الكتب العلمية::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤١٠::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٨::اسم المحقق :: محمد السعيد بسيوني زغلول

الصاد

٣٤- صحيح البخارى "الجامع الصحيح المختصر" ::اسم المؤلف :: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي::ولادة المؤلف :: ١٩٤::وفاة المؤلف :: ٢٥٦::دار النشر :: دار ابن كثير ، اليمامة::مدينة النشر :: بيروت::سنة

النشر :: ١٤٠٧ – ١٩٨٧::رقم الطبعة :: الثالثة::عدد الأجزاء :: ٦::اسم المحقق :: د. مصطفى ديب البغا.

٣٥-صحيح مسلم::اسم المؤلف :: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري::ولادة المؤلف :: ٢٠٦::وفاة المؤلف :: ٢٦١::دار النشر :: دار إحياء التراث العربي::مدينة النشر :: بيروت::عدد الأجزاء :: ٥ ::اسم المحقق :: محمد فؤاد عبد الباقي.

الطاء

٣٦- طبقات الشافعية الكبرى :: اسم المؤلف ابن هداية الله :: دار النشر دار الآفاق الجديدة

٣٧- طبقات الحفاظ::اسم المؤلف :: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل::ولادة المؤلف :: ٨٤٩::وفاة المؤلف :: ٩١١::دار النشر :: دار الكتب العلمية::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٣::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١

٣٨- الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) اسم المؤلف :: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله ولادة المؤلف :: ١٦٨ ::وفاة المؤلف :: ٢٣٠ ::دار النشر :: مكتبة العلوم والحكم:: مدينة النشر :: المدينة المنورة::سنة النشر :: ١٤٠٨::رقم الطبعة :: الثانية::عدد الأجزاء :: ١::اسم المحقق :: زياد محمد منصور.

الغين

٣٩- غريب القرآن ::اسم المؤلف :: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري:: ولادة المؤلف :: ٨٥٣::وفاة المؤلف :: ٨١٥::دار النشر :: دار الصحابة للتراث بطنطا::مدينة النشر :: القاهرة::سنة النشر :: ١٩٩٢::رقم الطبعة :: الأولى::اسم المحقق :: د.فتحي أنور الدابولي

٤٠- فهرس الجغرافيا والبلدان :: عصام الشنطى :: معهد المخطوطات العربية :: القاهرة .

٤١- الفردوس بمأثور الخطاب::اسم المؤلف :: أبي شـجاع شـيرويه بـن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني
ولادة المؤلف :: ٤٤٥::وفاة المؤلف :: ٥٠٩::دار النـشر :: دار الكتـب العلمية ::مدينة النشر :: بيروت
سنة النشر :: ١٩٨٦::رقم الطبعة :: الأولى ::عـدد الأجـزاء :: ٥::اسـم المحقق :: السعيد بن بسيوني زغلول

القاف

٤٢- القاموس الإسلامى:: اسم المؤلف :: أحمد عطية الله :: دار النـشر :: مكتبة النهضة.

الكاف

٤٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون::اسم المؤلف :: مصطفى بـن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي::ولادة المؤلف :: ١٠١٧::وفاة المؤلف :: ١٠٦٧::دار النشر :: دار الكتب العلمية::مدينة النشر :: بيـروت::سـنة النشر :: ١٤١٣ - ١٩٩٢::عدد الأجزاء :: ٢

اللام

٤٤- لسان العرب::اسم المؤلف :: محمد بن مكرم بـن منظـور الأفريقـي المصري::ولادة المؤلف :: ٦٣٠ ::وفاة المؤلف :: ٧١١::دار النـشر :: دار صادر
مدينة النشر :: بيروت::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١٥::
٤٥- لسان الميزان::اسم المؤلف :: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي::ولادة المؤلف :: ٧٧٣::وفاة المؤلف :: ٨٥٢::دار النشر :: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٦ - ١٩٨٦::رقم الطبعة :: الثالثة::عدد الأجزاء :: ٧::اسم المحقق :: دائرة المعرف النظامية - الهند

٤٦-مسند الإمام أحمد بن حنبل ::اسم المؤلف :: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني::ولادة المؤلف :: ١٦٤::وفاة المؤلف :: ٢٤١::دار النشر :: مؤسسة قرطبة::مدينة النشر :: مصر::سنة النشر :: - عدد الأجزاء :: ٦

٤٧- مسند أبي عوانة ::اسم المؤلف :: أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني::وفاة المؤلف :: ٣١٦

دار النشر :: دار المعرفة ::مدينة النشر :: بيروت ::سنة النشر :: ١٩٩٨::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٥::اسم المحقق :: أيمن بن عارف الدمشقي.

٤٨-مسند أبي يعلى ::اسم المؤلف :: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي::ولادة المؤلف :: ٢١٠::وفاة المؤلف :: ٣٠٧::دار النشر :: دار المأمون للتراث::مدينة النشر :: دمشق::سنة النشر :: ١٤٠٤ - ١٩٨٤::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١٣::اسم المحقق :: حسين سليم أسد

٤٩-مسند عبد بن حميد::اسم المؤلف :: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي::ولادة المؤلف :: ٠::وفاة المؤلف :: ٢٤٩::دار النشر :: مكتبة السنة::مدينة النشر :: القاهرة::سنة النشر :: ١٤٠٨ - ١٩٨٨::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ١::اسم المحقق :: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي.

٥٠- المستدرك على الصحيحين::اسم المؤلف :: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري::ولادة المؤلف :: ٣٢١::وفاة المؤلف :: ٤٠٥::دار النشر :: دار الكتب العلمية::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤١١ - ١٩٩٠::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٤::اسم المحقق :: مصطفى عبد القادر عطا.

٥١-المصنف في الأحاديث والآثار::اسم المؤلف :: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي::ولادة المؤلف :: ١٥٩::وفاة المؤلف :: ٢٣٥::دار

النشر :: مكتبة الرشد::مدينة النشر :: الرياض::سنة النشر :: ١٤٠٩::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٧::اسم المحقق :: كمال يوسف الحوت.

٥٢-المصنف::اسم المؤلف :: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني::ولادة المؤلف :: ١٢٦::وفاة المؤلف :: ٢١١::دار النشر :: المكتب الإسلامي::مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٣::رقم الطبعة :: الثانية::عدد الأجزاء :: ١١::اسم المحقق :: حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٣-المعجم الأوسط ::اسم المؤلف :: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني::ولادة المؤلف :: ٢٦٠::وفاة المؤلف :: ٣٦٠ ::دار النشر :: دار الحرمين ::مدينة النشر :: القاهرة::سنة النشر :: ١٤١٥::عدد الأجزاء :: ١٠:: اسم المحقق :: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسين.

٥٤-المعجم الكبير::اسم المؤلف :: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني

ولادة المؤلف :: ٢٦٠::وفاة المؤلف :: ٣٦٠::دار النشر :: مكتبة العلوم والحكم

مدينة النشر :: الموصل::سنة النشر :: ١٤٠٤ - ١٩٨٣::رقم الطبعة :: الثانية

عدد الأجزاء :: ٢٠::اسم المحقق :: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٥٥-المعجم الصغير:: اسم المؤلف :: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني::ولادة المؤلف :: ٢٦٠::وفاة المؤلف :: ٣٦٠::دار النشر :: المكتب الإسلامي ، دار عمار::مدينة النشر :: بيروت ، عمان::سنة النشر :: ١٤٠٥ - ١٩٨٥::رقم الطبعة :: الأولى::عدد الأجزاء :: ٢::اسم المحقق :: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

٥٦-معجم البلدان::اسم المؤلف :: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله::وفاة المؤلف :: ٦٢٦::دار النشر :: دار الفكر::مدينة النشر :: بيروت::عدد الأجزاء :: ٥

٥٧-معجم الأدباء:: اسم المؤلف :: ياقوت الحموى:: دار النشر :: دار الكتب العلمية .
٥٨-معجم المؤلفين :: اسم المؤلف :: رضا كحالة.
٥٩-معجم المطبوعات :: اسم المؤلف :: إليان سركيس .
٦٠-الموسوعة العربية الميسرة :: اسم المؤلف:: محمد شفيق غربال وآخرون :: دار الجيل :: سنة النشر :: ١٩٩٥م.
٦١-مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى :: اسم المؤلف :: عبد الله عنان.
٦٢-مشاهير علماء الأمصار::اسم المؤلف :: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي::ولادة المؤلف :: ٠::وفاة المؤلف :: ٣٥٤::دار النشر :: دار الكتب العلمية
مدينة النشر :: بيروت::سنة النشر :: - ١٩٥٩::عدد الأجزاء :: ١::اسم المحقق :: م. فلايشهمر
٦٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد::اسم المؤلف :: علي بن أبي بكر الهيثمي::وفاة المؤلف :: ٨٠٧::دار النشر :: دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربيمدينة النشر :: القاهرة ، بيروت::سنة النشر :: ١٤٠٧::عدد الأجزاء :: ١٠.

النون

٦٤-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة::اسم المؤلف :: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي::ولادة المؤلف :: ٨١٣::وفاة المؤلف :: ٨٧٤:: دار النشر :: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر::مدينة النشر :: مصر.
٦٥- نزهة المالك والمملوك فى مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك::اسم المؤلف ::الحسن بن عبد الله الصفدى .

الواو

٦٦- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ::اسم المؤلف :: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان::ولادة المؤلف :: ٦٠٨::وفاة المؤلف :: ٦٨١::دار النشر :: دار الثقافة ::مدينة النشر :: بيروت ::سنة النشر :: ١٩٦٨::عدد الأجزاء :: ٨ ::اسم المحقق :: د.إحسان عباس